الفصل الأول

التحليل النظري لمفهوم الانتماء

يُعد الانتماء مفهوماً فلسفياً دينامياً، لا يمكن إدراكه إلاّ في ضوء مرحلة تاريخية بعينها، وفي إطار اجتماعي بذاته، فهو نتاج للعديد من المعطيات والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في المجتمع، كما أنه مفهوم نفسي ذو بُعد اجتماعي، وبافتقاده يشعر المرء بالعزلة والغربة، ويعتريه القلق والضيق وتنتابه المشكلات النفسية، التي لها تأثيرها على وحدة المجتمع وتماسكه.

وعلى ذلك فإن الفصل الراهن يتضمن المحاور التالية:

أولاً: مفهوم الانتماء وعلاقته بكل من: الانتساب، والولاء.

ثانياً: بعض النظريات التي تناولت الانتماء بصورة مباشرة في مجالات علم النفس العام، وعلم النفس الاجتماعي، والفلسفة وعلم الاجتماع المعاصر.

ثالثاً: استخلاصات حول الانتماء تتفق وبنية المجتمع المصري.

رابعاً: أنماط الانتماء.

خامساً: التحليل الفلسفي لبعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم الانتماء - مدعمة ببعض الأدبيات والدراسات - خاصة مفاهيم: (الوعي، الهُوية، الفردية، الحب، الوطنية، والاغتراب بوصفه الوجه السلبي للانتماء).

أولاً: مفهوم الانتماء وعلاقته بكل من الانتساب، والولاء:

(١) تعريف الانتماء Belongingness:

يُرجع مختار الصحاح الانتماء "إلى أصل الفعل (نمى) ويقال نمى الحديث إلى فلان، أى أسنده له ورفعه، ونمى الرجل إلى أبيه أى نسبه وبابهما رمى، وانتمى هو (انتسب)، وقال الأصمعي نميت الحديث مخففاً أى ابلغته على وجه الإصلاح"[١]. وقد اتفق معه في نفس المعنى معجم لسان العرب الذى يرده "إلى الفعل نمى، والنماء بمعنى الزيادة، وأنميته أى عزوته ونسبته، وانتمى هو إليه، انتسب، وفى الحديث انتمى إلى غير مواليه، أى انتسب إليهم ومال وصار معروفاً لهم، ويقال نماه إلى جده، ارتفع إليه في النسب، أى رفع إليه نسبه"[٢].

١- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازى، مختار الصحاح، ط٥، القاهرة، وزارة المعارف، ١٩٢٦، ص ٦٨١.

٢- ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٤، بيروت، دار الإحياء العربي، ١٩٨٨، ص ٢٩٧.

وفى اللغة الإنجليزية اتفق كل من قاموس المورد[١] وقاموس Webester[٢] وقاموس Longman[٣] على أن كلمةBelongingness مشتقة من الفعل Belong بمعنى ينتمى، أو ذو علاقة وثيقة، ويتمتع بالعلاقات الاجتماعية الضرورية للاندماج في الجماعة.

ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الانتماء بأنه: ارتباط الفرد بجماعة ويسعى إلى أن تكون عادة جماعة قوية، يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها (كالأسرة – النادى – الشركة ... إلخ)، كما يرى أن الانتماء مرتبط بالولاء Allegiance ويتفق في المعنى مع Loyalty وتستخدم هذه الكلمة للدلالة على العلاقات والعواطف الرومانتيكية والقانونية التى تربط الفرد بالجماعة أو رموزها Symbols، أو الإخلاص لما يعتقد الفرد أنه صواب (كالأسرة – العمل – الوطن)، ويرى أن الولاء يكون طبيعيا Natural ومفروض على كل مواطن نحو الوطن الذى يقيم فيه، مقابل تمتعه بالحماية والأمن، كما يكون الولاء محليا أو واقعيا Local or Actual، وهو الولاء الذى ينتظر من الأجنبى نحو حكومة البلاد التى اختارها لإقامته[٤]. وقد اتفقت معه في نفس المعنى موسوعة علم النفس التى اتخذت من "التوحد دلالة على تمثل الفرد لجماعته وانتمائه لها، على أن يتوفر له الإحساس بالأمان والرضا والفخر والاعتزاز بها"[٥]، ويؤكد نفس المعنى المعجم الشامل في مصطلحات علم النفس والتحليل النفسى الذى اعتبر الانتماء "اتجاها يستشعره الفرد من خلال اندماجه في جماعة، وتوحده بها وأنه صار جزءا مقبولا منها، وله مكانته المتميزة، ووضعه الآمن بها"[٦].

١- منير البعلبكى، المورد، بيروت، ١٩٧١، ص ٩٨.

2- Webester's, **The Mew World Dictionary of American Language,** College Edition, Cleveland and New York, The World Publisher Company, P. 136.

3- Longman, **Dictionary Contemporary English,** New Edition, Longmans,1987, P. 83.

٤ -أحمد زكى بدوى، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٢، ص ١٦، ص ٣٩.

٥- وليم الخولى، **الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلى**، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦، ص ٧٢. وفيها عرف الانتماء Belongingness بمعنى الانتمائية، وأنها تتضمن الانتماء أو الانتساب وتعنى شعور الفرد بأنه جزء من مجموعة أشمل (أسرة – قبيلة – حزب – أمه – جنسية... ألخ) ينتمى إليها، وكأنه ممثل لها أو متوحد معها، ويحس بالأمان والاطمئنان والفخر والرضا المتبادل بينه وبينها، وكأن كل ميزة لها هى ميزته الخاصة.

6- English, H. B & English, A. C., **A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms,** New York, Longmans, 1958, P. 64

وهكذا يشير مفهوم الانتماء إلى الانتساب لكيان ما، يكون الفرد متوحدا معه، مندمجا فيه، باعتباره عضوا مقبولا منه ومتقبلا له، وله شرف الانتساب إليه، ويشعر بالأمان فيه، وقد يكون هذا الكيان جماعة، طبقة، وطن، **واتضح كذلك إرتباط وتداخل الولاء مع الانتماء** والذى يعبر الفرد من خلاله عن مشاعره تجاه الكيان الذى ينتمى إليه.

ولقد وردت في الانتماء آراء شتى للعديد من الفلاسفة والعلماء تنوعت بتنوع أبعاده ما بين فلسفى، ونفسي، واجتماعى - وسيرد ذلك تفصيلا في الفصل التالي - ففى حين تناوله "ماسلو" Maslo من خلال الدافعية، اعتبره "إريك فروم" Fromm ، حاجة ضرورية على الإنسان إشباعها ليقهر عزلته وغربته ووحدته، متفقا في ذلك مع "ماسلو"، و"ليون فستنجر" Leon Festinger الذي اعتبره اتجاها وراء تماسك أفراد الجماعة من خلال عملية المقارنة الاجتماعية. وهناك من اعتبره ميلا يحركه دافع قوى لدى الإنسان لإشباع حاجته الأساسية في الحياة.

وعلى الرغم من اختلاف الآراء حول الانتماء ما بين كونه اتجاها وشعورا وإحساسا أو كونه حاجة أساسية نفسية - لكون الحاجة Need "هى شعور الكائن الحى بالافتقاد لشئ ما معين، وقد تكون هذه الحاجة فسيولوجية داخلية، أو سيكولوجية اجتماعية كالحاجة إلى الانتماء والسيطرة، والإنجاز[1] - أوكونه دافعا وميلا، إلا أنها جميعا تؤكد استحالة حياة الفرد بلا انتماء، ذاك الانتماء الذى يبدأ صغيرا بهدف إشباع حاجة الإنسان الضرورية منذ ميلاده، وينمو هذا الانتماء بنمو ونضج الفرد، إلى أن يصبح انتماء للمجتمع الكبير الذى عليه أن يشبع حاجات أفراده. ولا يمكن أن يتحقق للإنسان الشعور بالأمن والحب والصداقة إلا من خلال الجماعة، فالسلوك الإنسانى لا يكتسب معناه إلا في موقف اجتماعى، وتقدم الجماعة للفرد مواقف عديدة يستطيع أن يظهر فيها مهاراته وقدراته، ويتوقف شعور الفرد بالرضا الذى يستمده من انتمائه للجماعة من الفرص التى تتاح له كى يلعب دوره بوصفه عضوا من أعضائها، كما أن توحد الفرد بالجماعة يحقق له

1- English, H.B. & English, A.C, Op. Cit, P. 396.

المكانة والأمن والقوة وقد يكون لهذه الأشياء قيمة أكبر، إذا ما فشل الفرد في الوصول إليها بمفرده[1].

أبعاد الانتماء:

ولما كان مفهوم الانتماء يُعد مفهوماً مركباً، ويتضمن العديد من الأبعاد، فإن البحث الراهن، سوف يركز على أهم أبعاد الانتماء، وهى كالتالى:

١- الهُوية Identity* :

يسعى الانتماء إلى توطيد الهُوية، وهى في المقابل دليل على وجوده. ومن ثم تبرز سلوكيات الأفراد كمؤشرات للتعبير عن الهُوية وبالتالى الانتماء.

٢- الجماعية Collectivism:

إن الروابط الانتمائية تؤكد على الميل نحو الجماعية، ويعبر عنها بتوحد الأفراد مع الهدف العام للجماعة التى ينتمون إليها، وتؤكد الجماعية على كل من التعاون Co-Operation، التكافل واالتماسك Salidarity، والرغبة الوجدانية Sentimental في المشاعر الدافئة للتوحد Oneness، وتعزز الجماعية كل من الميل إلى المحبة، والتفاعل، والاجتماعية، وجميعها تسهم في تقوية الانتماء من خلال الاستمتاع بالتفاعل الحميم للتأكيد على التفاعل المتبادل.

٣- الولاء Loyalty:

الولاء جوهر الالتزام، ويدعم الهُوية الذاتية، ويقوي الجماعية، ويركز على المسايرة، ويدعو إلى تأييد الفرد لجماعته ويشير إلى مدى الانتماء إليها، وكما أنه الأساس القوى الذى يدعم الهُوية، إلاّ إنه في نفس اللحظة يعتبر الجماعة مسئولة عن الاهتمام بكل حاجات أعضائها من الالتزامات المتبادلة للولاء، بهدف الحماية الكلية.

١- محمد فرغلى فراج، عبد الستار إبراهيم، السلوك الإنسانى، ط١، القاهرة، دار الكتب الجامعية ١٩٧٤، ص ص ١٣٨ - ١٤٣.

* سيرد تفصيلاً للهُوية كأهم المفاهيم المرتبطة بالانتماء ص ص ٧٠-٧٩.

٤- الالتزام Obligation:

حيث التمسك بالنظم والمعايير الاجتماعية، وهنا تؤكد الجماعية على الانسجام والتناغم والإجماع Consensus، ولذا فإنها تولد ضغوطا فاعلة نحو الالتزام بمعايير الجماعة لإمكانية الإقبال والإذعان كآلية رئيسة لتحقيق الإجماع وتجنب النزاع[١].

٥- التـــواد:

ويعني الحاجة إلى الانضمام أو العشرة Affiliation، وهو من أهم الدوافع الإنسانية الأساسية في تكوين العلاقات والروابط والصداقات[٢] ويشير إلى مدى التعاطف الوجداني بين أفراد الجماعة والميل إلى المحبة والعطاء والإيثار والتراحم بهدف التوحد مع الجماعة، وينمي لدى الفرد تقديره لذاته وإدراكه لمكانته، وكذلك مكانة جماعته بين الجماعات الأخرى، ويدفعه إلى العمل على الحفاظ على الجماعة وحمايتها لاستمرار بقائها وتطورها، كما يشعر بفخر الانتساب إليها[٣].

٦- الديمقراطية:

هى أحد أساليب التفكير والقيادة، وتشير إلى الممارسة والأقوال التي يرددها الفرد ليعبر عن إيمانه بثلاثة عناصر:

أ- تقدير قدرات الفرد وإمكاناته مع مراعاة الفروق الفردية، وتكافؤ الفرص، والحرية الشخصية في التعبير عن الرأي في إطار النظام العام، وتنمية قدرات كل فرد بالرعاية الصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية.

ب- أن يشعر الفرد بالحاجة إلى التفاهم والتعاون مع الغير، وأن تتاح له الفرصة للنقد، وتقبل نقد الآخرين بصدر رحب، وأن يكون الانتخاب وسيلة اختيار القيادات، مع الالتزام باحترام النظم والقوانين، والتعاون مع الغير في وضع الأهداف والمخططات

1- Lebra, Takie Sugiyama, **Japanese Patterns Behaviour,** Honolulu, University Hawii Press, 1986, PP. 32- 33.

٢- طلعت منصور وآخرون، أسس علم النفس العام، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٤، ص ١٣٥.

٣- شاكر عبد الحميد سليمان وآخرون، علم النفس العام، ط٢، القاهرة، دار أتون للنشر، ١٩٨٩، ص ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

التنفيذية وتقسيم العمل وتوزيعه ومتابعته. وهى بذلك تمنع الديكتاتورية، وترحب بالمعارضة، مما يحقق سلامة ورفاهية المجتمع.

جـ- إتباع الأسلوب العلمي في التفكير[1].

وفى ضوء ما سبق ذكره من آراء متعددة، وردت حول الانتماء، وجماعة الانتماء، يمكن استخلاص عدة خصائص، كمؤشرات لدينامية العلاقة الجدلية بين الانتماء وجماعة الانتماء.

العلاقة الجدلية بين الانتماء وجماعة الانتماء:

- الانتماء مفهوم نفسى، اجتماعى، فلسفى، وهو نتاج العملية الجدلية التبادلية بين الفرد والمجتمع أو الجماعة التى يفضلها المنتمى.
- باعتبار الانتماء ذا طبيعة نفسية اجتماعية، فإن وجود المجتمع أو الجماعة هام جدا كعالم ينتمى إليه الفرد، حيث يعبر عن الانتماء بالحاجة إلى التجمع، والرغبة في أن يكون الفرد مرتبطا، أو يكون في حضور الآخرين، وتبدو هذه الحاجة وكأنها عامة بين أفراد البشر.
- يفضل أن تكون جماعة الانتماء بمثابة كيان أكبر وأشمل وأقوى لتكون مصدر فخر واعتزاز للفرد، وأن يكون الفرد العضو في جماعة الانتماء في حالة توافق متبادل معها ليتم التفاعل الإيجابى بينهم.
- يعبر عن جماعة الانتماء بالجماعة المرجعية، تلك التى يتوحد معها الفرد ويستخدمها معيارا لتقدير الذات، ومصدرا لتقويم أهدافه الشخصية، وقد تشمل الجماعة المرجعية كل الجماعات التى ينتمى إليها الفرد كعضو فيها[2].
- أن يثق الفرد ويعتنق معايير ومبادئ، وقيم الجماعة التى ينتمى إليها ومن ثم يحترمها ويلتزم بها.

١- فيليب إسكاروس، **ديمقراطية سلوك المواطن المصري ودور التربية في تنميتها**، القاهرة، المركز القومي للبحوث التربوية، ١٩٨٠، ص ٤، ص ٣٥.

٢- كرتيش، كرتشفيلد بالاتش، **سيكولوجية الفرد والمجتمع**، ترجمة سيد خير الله، حامد الفقى، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٤، ص ص ٢١٢ - ٢١٤.

- على الفرد نصرة الجماعة التى ينتمى إليها، والدفاع عنها وقت الحاجة، والتضحية في سبيلها إذا لزم الامر مقابل أن توفر الجماعة له الحماية والأمن والمساعدة.
- أن يكون توحد الفرد مع الجماعة ضمن إطار ثقافى مشترك، وتعتبر اللغة والمعايير الثقافية الأخرى، عناصر أساسية للجماعة، ويتحدد مدى الانتماء بدرجة التمسك بها.
- الانتماء بمثابة حاجة أساسية (إنسانية، طبيعة سيكولوجية) في البناء النفسى، باعتباره خاصية نفسية اجتماعية.
- الانتماء متعدد الأنماط، اتساعا وضيقا، تباعدا، وتكاملا، وللتنشئة الاجتماعية دور إما في إضعاف الانتماء، أو تقويته، حيث عن طريقها يتشبع الفرد بالقيم المعززة للانتماء ومفردات الثقافة كاللغة والفكر والفن.
- يتأثر الانتماء بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة، ولذلك فإن أنماط السلوك التى يصعب تفسيرها أو تتبريرها ٠ أحيانا ما تكون نتيجة لفشل الفرد في الشعور بالانتماء وإحساسه بالعزلة عن الجماعة.
- إذا أنكر المجتمع على الفرد إشباع حاجاته، قد يتخذ الفرد موقفا سلبيا، إن لم يكن أحيانا عدائيا للمجتمع، حيث يلجأ الفرد إلى مصادر بديلة، يوجه إليها اهتمامه وانتمائه، وقد تكون مصادر غير مرغوب فيها أحيانا، ولها عواقبها السيئة على كل من الفرد والمجتمع.
- لا انتماء بلا حب حيث هو جوهر الانتماء.
- يشير ضعف الانتماء إلى الاغتراب، وما يصاحبه من مظاهر السلبية واللامبالاة نحو المجتمع، وغالبا كلما زاد عطاء المجتمع لإشباع حاجات الفرد، كلما زاد انتماء الفرد إليه، والعكس صحيح، وإن كان إلى حد ما.
- الانتماء يؤدي إلى نمو الذات وتحقيقها، وكذا تحقيق تميز الفرد وفرديته، وتماسك المجتمع.
- الانتماء يدعم الهوية باعتبارها الإدراك الداخلى الذاتى للفرد، محددة بعوامل خارجية يدعمها المجتمع، والانتماء هو الشعور بهذه العوامل، ويترجم من خلال أفعال وسلوك تتسم بالولاء لجماعة الانتماء أو المجتمع.

- الولاء متضمن في الانتماء، والانتماء أساس الوطنية.
- للانتماء أبعاد عديدة حددها البعض بثمانية أبعاد: "الأمان - التوحد - التقدير الاجتماعى - الرضا عن الجماعة - تحقيق الذات - المشاركة - القيادة - الإطار المرجعى - وبينهما جميعاً قدر من الانسجام، ويمكن من خلالها دراسة دوافع الانتماء"[1].
- الانتماء - باعتباره قيمة جوهرية - متعدد المستويات، بتعدد أبعاد القيمة (وعى، وجدان، سلوك)، فهو مادى لحظة عضوية الفرد في الجماعة، ومعلن لحظة تعبير الفرد عنه لفظياً مؤكداً مشاعره تجاه جماعة الانتماء، وسلوكى عندما يتخذ الفرد مواقف سلوكية حيال جماعة الانتماء، وقد تكون هذه المواقف إيجابية تعبر عن قوة الانتماء، أو سلبية تعبر عن ضعف الانتماء.

وانطلاقاً من أهمية هذا المفهوم في حياة البشر، والذى أعطاه العلماء والباحثون جل اهتمامهم، كان من الضرورى إعداد وسائل تقيس السلوك والمشاعر المرتبطة بمظاهر الانتماء، قوة أو ضعفاً، مستندة في ذلك إلى نظريات علمية، ومن ذلك على سبيل المثال محاولة "ريتشارد م. لي، ستيفن ب روبنز Richard M. Lee and Steven B. Robbins[2] التى استندت إلى نظرية علم نفس الذات للعالم "هل" ١٩٨٤ H. Kohut's Self Psychology Theory (1984) في تطوير مقياس الانتماء من خلال مقياس الترابط الاجتماعى Social Connectedness Scale، ومقياس التأمين الاجتماعى Social Assurance Scale. وجاءت أبعاد الأول (الترابط - التواد - العِشْرة)، وأبعاد الثانى (التواد والعِشْرة)، بما تتضمن هذه الأبعاد من قيم إيجابية.

وكذلك حاولت إحدى الدراسات العربية تصميم مقياس للانتماء واستندت في تصميمه إلى سبعة عشر عنصراً - تمحورت في أربعة محاور (المشاركة - المسئولية - تقبل

١- سحر الكحكى، دوافع الانتماء لدى بعض الشرائح الاجتماعية المختلفة، ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨، ص ص ٢٥ - ٣٢.

2- Lee. Richard M. & Robbins, Steven B., "Measuring Belogingness the Social Connectedness, and Soical Assurance Scales", **Journal Counseling Psychology,** 1995. Vol. 42, No. 2, PP. 232 - 241.

أهداف ومعايير المجتمع، الفخر والاعتزاز بالمجتمع) - تقيس بها مدى الانتمـــاء للوطـــن لدى سكان أحد الأحياء بالقاهرة[1].

مما سبق عرضه تستخلص الباحثة **تعريفا نظريا للانتماء للوطن مؤداه:**

(هو اتجاه إيجابى مـــدعم بالحب يـــستشعره الـــفـــرد تجاه وطنه، مـــؤكـــــدا وجـــود ارتباط وانتساب نحو هذا الوطن - باعتباره عضوا فيه - ويشعر نحوه بـــالفخر والـــولاء، ويعتز بهويته وتوحده معه، ويكون منشغلا ومـــــهموما بقضاياه، وعلـــى وعـــى وإدراك بمشكلاته، وملتزما بالمعايير والقوانين والقيم الموجبة التى تعلى من شـــأنه وتنـــهض بـــه، محافظا على مصالحه وثرواته، مراعيا الصالح العام، ومشجعا ومســـــهما فـــي الأعمـــال الجماعية ومتفاعلا مع الأغلبية، ولا يتخلى عنه حتى وإن اشتدت به الأزمات).

وعلى ضوء ذلك يتضح أن مفهوم الانتماء يعد مفهوما مركبا، يشمل أبعادا عدة، وهـــو كذلك يرتبط بعلاقات جدلية تبادلية مع عدد من المفاهيم الأخرى، منهاعلى ســـبيل المثـــال (الانتساب، الولاء)، لذلك فإن الباحثة تعتقد في أنه مـــن الأهميـــة بمكـــان تحليـــل هذيـــن المفهومين، لكشف عما بينهما وبين مفهوم الانتماء من علاقات.

(٢) علاقة الانتماء بالانتساب:

يعنى الانتساب Affiliation: "حاجة الفرد إلى الارتباط مع شخص آخر، أو أشـــخاص آخرين، إما من أجل عمل مشترك يجمع بينهم، أو من أجل الصحبة أو من أجل الإشـــباع الجنسى"[2]، "وأنه العلاقة الشرعية الشـــكلية أو التعاونيـــة بيـــن جمـــاعتين أو أكـــثر، أو الانضمام إلى جمعية أو رابطة لمجرد التأييد والمساندة الأدبية، دون بلوغ حـــد العضويـــة العاملة"[3]، وهـــكـــذا يتضح مـــكـــانة الانتساب وعلاقته بالانتمـــاء، ففـــى حيـــن يشـــير الانتماء إلى عضوية الفرد لجماعة الانتماء واندماجه فيها وتوحده معـــها، فـــإن الانتســـاب يشير إلى الارتباط والاهتمام والتعاون والصداقة مع الآخريـــن بـــهدف إشـــباع حاجـــات

١- محمد عبد الحى نوح، تصميم ودراسة مقياس لتحديد مدى انتماء السكان لمجتمعهم، دكـــتوراه، كليـــة الخدمـــة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٨٠.

2- English, H. B. & English, A.C., Op. Cit., P.16.

٣- أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص١٨.

الارتباط والاهتمام والتعاون والصداقة مع الآخرين بهدف إشباع حاجات الإنسان، وإن كان يشير إلى الانتماء باعتباره متداخلا فيه ومرتبطا به، ويعتبر أساسا لنجاح وتقوية الانتماء، حيث من أهم خصائصه الود الإخلاص والصداقة والاهتمام، خاصة إذا ما اتضح أن الانتساب في أحد معانيه العضوية هو القرب، كما ورد في مختار الصحاح: "إن فلانا يناسب فلانا يعنى أنه نسيبه أى قريبه، وانتسب إلى أبيه أى اعتزى إلى أبيه"[١].

ويشير الانتساب والتواد إلى الانضمام أو العشرة والتعاطف الوجداني كضرورة هامة لعمليات التفاعل الاجتماعى، حيث ينمي تقدير الذات ومكانتها داخل الجماعة، ومكانة الجماعة بين الجماعات، والإدراك الذاتى لهذه المكانة، ومحاولة التغير من أجل بقائها وتحسين أحوالها دائما للأفضل باعتبارها مصدر فخر له واعتزاز، وهذا ما أشارت إليه إحدى الدراسات من وجود ارتباط موجب بين التواد وتقدير الذات، و أن تقدير الذات ارتبط مباشرة بالإدراك الذاتى لمكانة الجماعة بين الجماعات[٢].

(٣) علاقة الانتماء بالولاء Loyalty :

اتفق مختار الصحاح، ولسان العرب، في أن "الولاء من المولاة، وهى ضد المعاداة، والولى هو اسم من أسماء الله تعالى بمعنى الناصر المتولى لأمور الخلائق، ويقال بينهما ولاء أى قرابة، والولى هو الصديق والنصير، والولاية بالفتح تعنى النصرة"[٣].

واتفق كل من قاموس Collins[٤]، قاموس Longman[٥]، قاموس Webester[٦]،

١- محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى، **مختار الصحاح**، القاهرة، المطبعة الأمريكية ١٩٦٢، ص ٦٥٦.

2- Brown, B. Bradford & Loher, Mary Jane, "Pear Group Afftiliation and Adolescent Self-Esteem, An Integration of Ego Identity and Symbolic Interaction Theories", **Journal of Personality and Social Psychology,** 1987, Vol. 52, No. 1, PP. 47 - 55.

٣- محمد بن أبى بكر، مختار الصحاح، ط٥ - عام ١٩٢٦، مرجع سابق، ص ٧٣٦. وانظر:

- ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٥، مرجع سابق، ١٩٨٨، ص ٤٠٠.

4- Cobuild, Collins: **English Language Dictionary**, London, Collins, P. 868.

5- Longman, Op. Cit., P. 24.

6- Webester's, Op. Cit., P. 854, P.870.

وقاموس Oxford[1] على أن الولاء Loyalty، يعنى موالى لشئ ما ويتفق مع كلمة Allegiance، بمعنى الإخلاص والطاعة والتأييد للقائد أو لفكرة ما، وأنها تعنى الشعور بالتأييد أو الواجب أو الصداقة تجاه شخص ما أو شئ ما، كما عرف القاموس الشامل لعلم النفس ومصطلحات التحليل النفسى الولاء "بأنه اتجاه أو عاطفة من الارتباط والمودة الراسخة تجاه شخص ما، أو جماعة ما أو مؤسسة ما أو لفكرة ما"[2]، متفقاً بذلك مع الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية، والتى أضافت أن الوجدان فيها يصبح مشبعاً بالأمنيات المؤيدة لها، ومستعداً للتضحية في سبيلها، ووصفته "جوسيا رويس" Josiah Royce بأنه استعداد إرادى وعملى، يوجه وجدان الشخص إلى ذاك الشئ أو تلك القضية، ويعتبر الولاء كخطاب سياسى، القاعدة الأساسية بين كل من الوطنية Patriotism، وبين الالتزام Obligation، فهو قلب الوطنية، وجوهر الالتزام، فالولاء أكثر اعتدالاً في أسلوبه العاطفى، وأكثر عقلانية في أسسه وقواعده، وأقل شمولاً في موضوعه من الوطنية، وأكثر دفئاً، وأقل عقلانية، وأكثر شمولاً من الالتزام، والولاء كاتجاه Attitude يختلف في أبعاده عن أى اتجاه آخر، حيث يختلف في شدته، وعمقه ومدى بقائه، وفى اتجاهه Direction ومُحتواه وقوته، وهو نسبى في نموه ومدى تغيره، حيث ينبثق من النسيج الاجتماعى[3].

وعلى ذلك فالولاء شعور يتعلق بوجدان الفرد تجاه جماعة ما، أو فكرة ما، تأييداً لها، وطاعة وإخلاصاً وتضحية في سبيلها. وهو نفس المعنى الذى قالت به دائرة المعارف الأمريكية، حيث أكدت على أن الولاء هو: "الإخلاص والطاعة للحكومة مقابل حمايتها للفرد، وكان قديماً في عهد الإقطاع الولاء لصاحب المزرعة، أما الآن أصبح الولاء للدولة وللرموز الرئيسة فيها، كما يدين الأجانب بالولاء للبلد المضيفة لهم، وفى ظروف بعينها يمكن اعتباره في ضوء القانون خيانة، وأن الشخص اللاجئ هو ذاك الشخص الذى بلا

1- Howkins, Joyce M. & Allen, Rubert. **The Oxford Encyclopedia,** English Dictionary, Oxford, Allen Clar Eudon Press, 1991.

2- English, H. B. & English, A. C., Op. Cit., P. 300.

3- Schaar, John H., "Loylty". In: Sills, David L. (Ed.), **International Encyclopedia of Social Science,** Vol. 9. 10, New York. London, Macmillan Co. & Free Prees, 1972, PP. 484 - 486.

دولة"[1]، وميثاق الولاء هو: "الإعلان عن الولاء للحكومة، أو لمؤسسة ما، أو لجماعة ما، وهو وسيلة للكشف عن مدى التأييد المحدد للهوية، ويستخدم الولاء ليعزز ويؤكد على السيادة العقيدية للحكومة"[2].

ولقد ساوى "جيودث شكلر" Judith N. Shklar ، بجامعة هارفارد بين اللانتماء، والنفى، سواء كان هذا النفى بالإجبار أو نفيا ذاتيا، هاربا فيه الفرد من ذاته متقوقعا حولها، واعتبر الولاء Loyalty مؤثرا جيدا يشير إلى مدى ترابط الجماعة الاجتماعية، كما أشار إلى أن القسم والميثاق Oath لا يعتبر قيدا شخصيا بقدر ما هو وعد يستتبعه الإخلاص الشخصى، والولاء الاجتماعى، وأن الطاعة تقضى بين الإخلاص والولاء، كما يساند الولاء الالتزام Obligation، ففى حالة تطابق الولاء للدولة والقومية، فإن الولاء القومى يدعم الالتزام تجاه الدولة وقوانينها، كما يعتبر الولاء الحزبى ضرورة لتدعيم المؤسسات الشعبية المختلفة[3].

واعتبر "ألبرت" Albert الولاء لمؤسسة ما، دلالة على الانتماء لها، وأن الولاء وظيفى في معظم حالاته، وقد يكون لا عقلانيا أيضا، كأن ينجذب الفرد إلى حزب ما، أو فريق كرة ما، مع أنه لا يستحق كل هذا الانجذاب، وإن كان الولاء للأوطان دائما يتحقق بلا معاناة، لأن الأوطان عوالم غاية في التميز، وأن الولاء يتضح بصورة أكثر إذا كانت الأوطان متشابهة بقدر كبير في (التاريخ - اللغة - الثقافة)، عما إذا كانت تلك الأوطان ذات أصول متباينة.

وأشار "ألبرت" إلى أن الفرد الموالى لمؤسسة ما أو جماعة ما، لا يتخلى عن ولائه لها، وإن كان لا يشعر بالسعادة في ظلها، وإنما يحاول التعبير عن رأيه بحرية أكثر، وبأساليب متنوعة، ويمكن تحديد مدى ولاء الفرد لكيان ما من خلال إدراك أمرين هامين الأول: يمثل الولاء مع عدم تفكير الفرد في الخروج من الجماعة أو المؤسسة الموالى لها،

1- Murphy, John F., **Encyclopedia Americana,** Delux library Edition,Vol. I., 1940, P. 588.

2- Fellman, David, "Loyalty Oath". In **Encyclopedia Americana,** Americana lyttom, Vol, 17, 1997, PP. 822 - 823.

3- Shklar, Judith N., "Obligation, Loyalty, Exile", **Political Theory,** Vol. 21, No. 2, May 1993, PP. 181 - 197.

والآخر: يشير إلى مدى التدهور الذى أصاب الجماعة أو المؤسسة مما يجعل العضو يلوح بالانسحاب منها، ويساوم بهذا التلويح بغرض إحداث بعض التغيرات داخل الجماعة أو المؤسسة، وهنا يصبح التهديد – في حد ذاته – بمثابة سلاح خفى، قد يصلح من شأنها ويطورها للأفضل[1].

وهكذا ساوى البعض بين "التجاذب نحو الجماعة، ومقاومة التخلى عن عضويتها، وبين الشعور بالانتماء والولاء لها، كدلالة على تماسك الجماعة، وتقل جاذبية الجماعة بالنسبة للفرد العضو فيها، إذا لم تشبع حاجته التى انضم للجماعة من أجلها، أو إذا تغيرت بحاجات أخرى أثناء عضويته في الجماعة، أو إذا حدث تغير في خصائص الجماعة عن طريق تعديل برنامجها أو تنظيمها الداخلى، أو طبيعة عضويتها، أو جوها الانفعالى، وبالمثل يمكن أن نتوقع ازديادا في جاذبية الجماعة نتيجة للتغيرات التى تتم فيها، وتزيد عن قدرتها على إشباع حاجات أعضائها"[2].

وعلى ذلك فالولاء اتجاه نفسى اجتماعى ذو جانب انفعالى عاطفى، وجانب سلوكى يدفع الفرد للقيام بسلوك معين نحو مصلحة ما، تتعلق بانتمائه للجماعة، هذا بالإضافة إلى جانبه المعرفى الذى يتمثل في إدراك الفرد للمفاهيم والقيم، التى يستند إليها شعوره بالولاء.

أى أن للولاء جانبا نفسيا ولا يمكن إدراكه إلا من خلال الواقع المعيش على المستوى السلوكى و اللفظى، والولاء في معظمه اتجاه شعورى، إلا أنه ذو أرضية لاشعورية ترتبط بمفهوم الحب، الذى تقوم عليه جميع الاتجاهات النفسية[3].

ولما كان الولاء يتعلق بالمشاعر والوجدان والعواطف تجاه من ينتمى إليه، ويؤكد على التفاعل الاجتماعى، فإنه ذو ارتباط موجب بالالتزام، وقد أكدت إحدى الدراسات على ذلك

1- Hirschman, Albert O., **Exit, Voice, and Loyalty, Responses to Decline in Firms, Organizations, and State,** Cambridge, Massachusette, Harvard Univresity Press, 1970, PP. 79 - 90.

٢- لويس كامل ملكية، مرجع سابق، ص ١٥٢.

٣- عبد العزيز عبد المنعم عبده حسانين، **تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن لدى الأطفال في سن السابعة من العمر**، ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٨٩، ص ص ٢٠-٢١، ص ٢٤.

حين تناولت بالبحث في مدى العلاقة الارتباطية بين الولاء النقابى، والأداء الجيد، من خلال الالتزام النقابى ،حيث كشفت عن وجود ميل لدى أعضاء النقابة القدامى للولاء النقابى أقوى من الأعضاء الجدد، مما يؤكد وجود ارتباط موجب بين العمر والمعايشة، والولاء النقابى، والالتزام به، ومتطلبات ذلك الالتزام، كما أشارت إلى وجود علاقة إيجابية بين الأداء النقابى والولاء النقابى، فكلما زاد الولاء زاد الأداء النقابى، وكذلك وجود ارتباط موجب بين ممثلى النقابة، والولاء النقابى، فكلما زاد تأييد ممثلى النقابة ومساندتهم، زاد الولاء للنقابة، خاصة إذا كان لهم دور فعال في التطوير والتاثير على الولاء للنقابة، وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحوها، ويشير مدى ولاء أعضاء النقابة إلى نجاحها وقوة فاعليتها في إنجاز مهامها"[1].

وهكذا يتضح ارتباط الالتزام والولاء بالأداء ومن ثم الانتماء، حيث الولاء يدعم مستوى الأداء الذى يؤكد بدوره على مدى وجود الانتماء.

استخلاصا مما سبق يمكن إجمال الفرق بين الولاء، والانتماء، وتأكيد العلاقة الإيجابية المتداخلة بينهما فيما يلى:

- في حين يركز الانتماء على عضوية الفرد لجماعة ما، والاندماج فيها، والتوحد معها، يتجاوزها الولاء ليشمل فكرة ما، أو قضية ما، فيمكن أن يكون الولاء لجماعة لا ينتمى إليها الفرد.
- بينما يركز الانتماء على جماعة يكون الفرد متقبلا لها ومقبولا منها، يركز الولاء على الصلات والعواطف الرومانتيكية والقانونية التى تربط الفرد بالجماعة أو الفكرة أو القضية.
- في حين يركز الانتماء على العضوية، يركز الولاء على المشاعر والعواطف تجاه الجماعة باعتباره رابطة وجدانية، واستعداد إرادى، يتخذ العديد من الصور منها: الطاعة، الالتزام، الإخلاص، الواجب، الصداقة، ولهذا فهو يقوى الانتماء وينميه.

1- Johnson, W. Roy & Jonson, Gloria, "Union Preformance and Union Loyalty, the Role Preceived Steward Support", **Journal of Applied Social Psychology,** 22, 9, 1992, PP. 677 - 690.

- الانتماء يحتوى جزءا من الموضوع بالوجود المادى، أما الولاء يحتوى الموضوع كله وجدانيا وسلوكيا، سواء أكان الاحتواء نظريا أم عمليا.

- وهناك فرق آخر بين الانتماء والولاء حيث الولاء: "اتجاه ذو طبيعة كامنة داخل الفرد يدفعه في سلوك لفظى أو عملى تبعا لمواقف معينة، وينطبق نفس الأمر على الانتماء، إلا أنه يبدو أن كمون اتجاه الانتماء للوطن أكبر بكثير من كمون اتجاه الولاء للوطن، مثال ذلك الفرد الذى يترك بلده ويسافر للعمل بالخارج، ثم يعود إلى وطنه وهو لا يعرف لماذا يعود في هذا التوقيت، إن الباعث هنا هو الانتماء، وآخر يترك بلده ويسافر للعمل في الخارج، ويعود لوطنه، وهو يعرف لماذا يعود، وماذا سيفعل، إنه الولاء، والفرق بين الانتماء والولاء، هو الفرق بين من لا يعرف، ومن يعرف، أى أن بعد الوعى الذاتى الاجتماعى الثقافى - حيث المعرفة تشير إلى الشعور - هو البعد الذى يضاف لصالح الولاء ليميزه عن الانتماء الذى يقع نسبة كبيرة منه في حيز اللاشعور"[1].

ثانيا: بعض النظريات التي تناولت مفهوم الانتماء:

(١) الانتماء في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى:

باختلاف تناول العلماء لمفهوم الانتماء، تعددت النظريات المرتبطة بهذا المفهوم، سواء كان ذلك بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، من خلال تناولهم للمفاهيم المختلفة، فمنهم من اعتبره حاجة، ومنهم من اعتبره دافعا، ومنهم من اعتبره ميلا، وهناك أيضا من اعتبره شعورا وإحساسا، ومنهم من اعتبره اتجاها.

ومن النظريات التي تناولت الانتماء على أنه بمثابة اتجاه: نظرية "التنافر المعرفي" للعالم "ليون فستنجر" Leon Festinger، حيث أشارت إلى أهمية المكونات المعرفية في تدعيم أو تغيير الاتجاه، وأكدت على أهمية الاتساق المعرفي، والذي لم يتحقق إلا بازالة التنافر المعرفي.

١- عبد العزيز عبد المنعم عبده حسانين، مرجع سابق، ص ص ٢٧-٢٨.

كذلك تناولت نظرية "التحليل النفسي" لـ "سيجموند فرويد" S. Froid الانتماء بصورة غير مباشرة، وبوصفه اتجاها، ومشيرة إلى أهمية المكونات الوجدانية في تغير الاتجاهات وتدعيمها.

كما أشارت نظرية "الدعم السلوكية" إلى أهمية العملية السلوكية في تغير أو دعم الاتجاهات، وأكدت على دور الدعم في خفض توتر الحاجة الذي يؤدي إلى تحقيق الاتساق مما يسهم في تغير السلوك.

كذلك تناول العديد من العلماء الانتماء من خلال نظرياتهم حول "الشخصية الإنسانية"، وخاصة كل من "ألفريد أدلر" A. Adler، "كارين هورني" K. Horny، "هاري ستاك سوليفان" H. S. Sullivan حيث أكدوا على أن الإنسان كائن اجتماعي من الضروري أن يرتبط بالآخرين برباط من الحب والتقبل، حيث لا يستطيع أن يحيا بمعزل عن الآخرين، فهو نتاج التفاعلات الاجتماعية، وعليه أن ينشغل بأنشطة اجتماعية إيجابية ليحيا حياة اجتماعية سوية.

كما تناول "ماسلو" A. Maslo الانتماء بصورة مباشرة في سياق نظريته، واعتبره من أهم الدوافع الإنسانية، وقرنه بالحب، وتوسط به هرمه الخاص بالحاجات الإنسانية.

كذلك تناول "إريك فروم" Erick Fromm الانتماء بصورة مباشرة في سياق نظريته للحاجات، واعتبره من أهم الحاجات التي تؤكد اتصال الفرد بالآخرين، ليتجاوز عزلته ووحدته، وينتمي إلى شئ أكبر من نفسه، وهو مدرك لذاته، مؤكدا على أهمية الحب والمشاركة الإيجابية ليصبح الفرد واحدا من الكل، له أنشطته الاجتماعية التعاونية، وعلاقاته الإنسانية الإيجابية الناجحة.

وأكد "ليون فستنجر" مرة أخرى وبطريقة مباشرة على أهمية الانتماء، وتناوله من خلال نظريته "المقارنة الاجتماعية" مشيرا إليه كاتجاه له أهميته في عملية المقارنة الاجتماعية، التي لها أثرها على الذات الإنسانية، لما لها من دور في تحقيق التوحد والاندماج، وتماسك أفراد الجماعة[1].

١- للمزيد حول هذه النظريات راجع:

- منيرة أحمد حلمي، **ثلاث نظريات في تغير الاتجاهات**، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٧، ص ص ١٢ -٢١. -

والدراسة الراهنة تتناول بشئ من التفصيل النظريات الثلاث الأخيرة، حيث تناولت الانتماء بصورة مباشرة، وكانت أكثر ارتباطا وتحليلا لمفهوم الانتماء.

أ- نظرية أبراهام ماسلو Abraham Maslo للحاجات:

يرى "ماسلو" أن إشباع الحاجات الإنسانية يخضع لأولوية تعبر عن مدى أهمية الحاجة، فجاءت الحاجات الفسيولوجية في بداية هرمه، تليها الحاجة إلى الأمن، ثم توسط هرمه الحاجة إلى الانتماء وقرنه بالحب بمعناه الواسع، مشيرا إلى أهميته كحاجة أساسية، يحقق المرء ذاته من خلالها، وأكد ماسلو أن الإنسان "قد يصبح معاديا للمجتمع إذا أنكر عليه المجتمع إشباع حاجاته الأساسية"[1].

وجاء تصنيف "ماسلو" للدوافع البشرية في إطار نظريته، ونظمها في شكل هرمي، ورغم تأكيده على كلية الفرد، إلا أنه يتصور الحاجات مرتبة وفقا لنظام هرمي يمتد من أكثر الحاجات فسيولوجية، إلى أكثرها نضجا من الناحية النفسية، واستند في نظريته على عدد من المسلمات، منها: أن الحاجات مرتبة ترتيبا هرميا على أساس قوتها، وعلى الرغم من أنها جميعا حالات فطرية، إلا أن بعضها أقوى من الآخر، وكلما انخفضت الحاجة في ترتيبها التنظيمي، كانت أكثر قوة، وكلما ارتفعت كانت أضعف، ومميزة بدرجة أكبر، ويعتبر هذا التدرج هو تدرج الإلحاح من أجل الإشباع، ولأن الفرد يتطلع للحصول على أشياء مختلفة، فلا تشبع الحاجات كاملة، فما أن تشبع حاجة وتقل أهميتها، تظهر حاجة أخرى، وتظل هذه العملية مستمرة لا تنتهي، بهدف جعل الفرد دائما في حالة تعبئة مستمرة من الطاقة، وتتوقف الحاجة بعد إشباعها عن دفع سلوك الفرد الذى يتحرك عندئذ بتأثيرحاجات أخرى لم تشبع، كما أن الحاجات تتداخل فيما بينها ما دامت لا تختفى، ولا تشبع إلا جزئيا. وحدد "ماسلو" هذه الحاجات، من قاعدة التنظيم الهرمي إلى أعلى على النحو التالي:

- محمود السيد أبو النيل، **علم النفس الاجتماعي، دراسات مصرية وعالمية**، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والدراسية والوسائل التعليمية، ١٩٧٥، ص ص ٤٧٠ - ٤٩٠.

- كالفن هول، جاردنر ليندزى، **نظريات الشخصية**، ترجمة فرج أحمد فرج وآخرون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١، ص ص ١٥٩ - ١٩٥، ص ص ٦٤٥ - ٦٨٣.

١- المرجع السابق، ص ص ٤٢٤.

الحاجات الفسيولوجية – حاجات الأمن – حاجات الحب والانتماء – حاجات التقدير – وتعتلى قمة الهرم تحقيق الذات. وقال في الحاجة إلى الانتماء والحب إن الفرد يدفع بالحاجة إلى التواد، وإن الناس في حاجة إلى أن يكونوا موضع حب ويحبوا، وإذا لم تشبع هذه الحاجة، فإن الفرد يشعر بالوحدة والخواء، لأنه يكون مدفوعا بجوع لا يشبع إلا بالاحتكاك والصداقة الحميمة والانتماء، والحاجة إلى أن يتغلب على مشاعر الاغتراب، والوحدة والغربة والعزلة التي سادت نتيجة للحراك، ولتحطيم الجماعات التقليدية، ولبعثرة الأسرة، وللفجوة بين الأجيال، وللتحضر المستمر ولاختفاء علاقة الوجه للوجه.

كما يرى "ماسلو" أن الشخص الذى يمر صاعدا بهذه المستويات من الحاجات، وفى مستوى الحب والاعتزاز بالذات ويشبعها نسبيا، يصبح أكثر تقبلا للذات ودراية بها، وأقل انقساما على نفسه، وتزيد تلقائيته وتعبيره الصادق عن نفسه، فيكون أكثر استقلالية وواقعية، بل أكثر قدرة على التعاطف الوجدانى مع الآخرين، والحب والاندماج معهم[1].

وعلى اعتبار أن الدافعية بمثابة استثارة وتوتر داخلى تثير السلوك وتدفعه إلى تحقيق هدف معين، فالانتماء من أهم الدوافع الخارجية التي تدفع الفرد للقيام بأفعال معينة إرضاء للمحيطين به للحصول على تقديرهم، أو للحصول على نفع مادى أو معنوى[2].

وهكذا أكد "ماسلو" على أهمية الحاجات الأساسية بوصفها حاجات متداخلة ولا تشبع إشباعا كاملا، وقرن الحاجة إلى الانتماء بالحب، للتغلب على مشاعر الوحدة والاغتراب، والسعي إلى الترابط والاندماج مع الآخرين.

ب- نظرية إريك فروم Erick Fromm للحاجات:

وأشار "إريك فروم" إلى أن "فهم النفس البشرية يقوم على تحليل حاجات الإنسان، وقد صنف هذه الحاجات إلى خمس حاجات وهى كالتالي: الحاجة إلى الانتماء – الحاجة إلى

١- شاكر عبد الحميد سليمان وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٤٥٣ – ٤٥٥.

– فاطمة سالم سعيد العامرى، مدى فاعلية برنامج إرشادى في تنمية تحقيق الذات لدى عينة من طلاب كلية التربية، جامعة الإمارات؛ ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٣، ص ص ٦٥ – ٧٠.

– أحمد صقر عاشور، السلوك الإنساني في المنظمات، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص ص ٧١-٧٥.

٢- شاكر عبد الحميد سليمان وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٢٤، ص ٤٤٢.

التعالى والسمو – الحاجة إلى الارتباط بالجذور – الحاجة إلى الهوية – الحاجة إلى إطار توجيهي"[1]، واعتبر فروم الانتماء إحساسا وشعورا، وأن الحاجة إليه هي الحاجة إلى كيان أكبر، وأشمل، وأقدر، يستمد منه الفرد الشعور بالقوة، وما دام الإنسان كيانا له جسم وعقل، فلا مناص من أن يواجه ثنائية وجوده بالتفكير وبعملية الحياة أيضا، وبمشاعره وأفعاله، وعليه أن يسعى جاهدا إلى تجربة الاتحاد والوحدة في كل حالات وجوده ليصل إلى توازن جديد، وأن يخلق أشكالا خارج نفسه ليرتبط بها، تحل محل الارتباط بالأسرة مثل (القبيلة – الأمة – الجيش – الدولة – الطبقة الاجتماعية – الحزب السياسي... وسائر الأشكال الأخرى من المؤسسات والمنظمات)، حيث لا يبلغ الإنسان إنسانيته الكاملة إلا بان يكون حرا مستقلا وغاية في حد ذاته لا وسيلة لأغراض شخص أخر، وينبغي عليه أن يرتبط مع إخوانه من البشر، مدفوعا في ذلك بالحب، لأنه إذا لم يشعر بالحب كان كالقوقعة الخاوية حتى في حالة امتلاكه القوة والذكاء والثروة جميعا[2].

ويرى "فروم" أنه في حال عزلة المرء عن اتصاله بمن حوله، "يصبح في حالة انفصال عن وجوده، وغريبا عن نفسه وذاته، لأنه ليس صانعا لعالمه، ولا يستطيع التحكم فيه، بل وربما تفرض الأشياء سيادتها عليه، ومن ثم يضطر للخضوع لها، ومن هنا فهو غريب عنها، مفتقد هويته، ويعانى من قسوة الوحدة والاغتراب، نتيجة لفقده ذاته وانفصاله عن وجوده وعالمه"[3].

ويرى "فروم" "أن كلا من النظامين الرأسمالى والشيوعي يحاول أن يجعل الإنسان آلة، مجردا من الهوية للمجتمع، والمدمرة للذات، ولا يتردد فروم في وصم مجتمع بأسره بـــ (المرض)، عندما يخفق في إشباع الحاجات الأساسية لأفراده"[4].

١- إريك فروم، الإنسان بين المظهر والجوهر؛ ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، ع ١٤٠، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أغسطس ١٩٨٩، ص ١٠.

٢- إريك فروم، الدين والتحليل النفسي؛ ترجمة فؤاد كامل، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٩٢، ص ٢٧، ص ص٧٠-٧٥.

٣ - إريك فروم، المجتمع السليم، مرجع سابق، ص ص ٣٠- ٣٢. وللمزيد راجع:

- Fromm, Erick. The Sane Society; New York, Fawecette Priemier, 1969, PP.141-143.

٤- إريك فروم، الإنسان بين المظهر والجوهر، مرجع سابق، ص ١١.

وحدد "فروم" حاجات الإنسان بخمس حاجات، جاء في مقدمتها الحاجة إلى الانتماء، بوصفه شعورا وإحساسا لدى الفرد، وأنه يستطيع أن يرتبط بالآخرين بروح من الحب والعمل المشترك، أو أن يجد الأمن في الخضوع للسلطة، والامتثال للمجموع، وفى الحالة الأولى يستخدم الفرد حريته لتنمية مجتمع أفضل، وفى الحالة الثانية يكتسب قيدا جديدا، ويرى "فروم" أن الحاجة إلى الانتماء تنبع من أن الإنسان تمزقت لديه عرى الوحدة الأولية بالطبيعة، في حين أن الحيوان قد زود بما يواجه به الظروف التي يقابلها، أما الإنسان – بما يمتلك من قدرة على التفكير والتخيل – فقد فقد هذا الاعتماد والتفاعل الوثيق بينه وبين الطبيعة، التي توجد لدى الحيوان، وأصبح على الإنسان أن ينشئ علاقاته الخاصة به، وأكثرها تحقيقا للإشباع، وهى تلك العلاقة القائمة على الحب المثمر، الذى يتضمن دائما الرعاية المتبادلة والمسئولية والاحترام والفهم.

ويشير "فروم" إلى حاجة الإنسان إلى التعالى والسمو فوق طبيعته الحيوانية، ليصبح شخصا مبدعا، وإذا ما احبطت هذه الدوافع المبدعة، فالإنسان يصبح مدمرا، كذلك فالإنسان أيضا في حاجة إلى الارتباط بالجذور ليظل جزءا متكاملا مع العالم، وأن يشعر أنه منتم، فالمرء يجد أشد جذوره تحقيقا للإشباع، وأكثر صحة، في شعوره بالأخوة، التي تربطه بغيره من البشر حوله، ولكن مع ذلك فهو يرغب في الإحساس بالهوية، وأن يكون فريدا متميزا، فإن عجز عن تحقيق هذا الهدف بجهوده الذاتية المبدعة، فقد يحقق قدرا من التميز عن طريق التوحد بشخص آخر أو جماعة، فنجد الفرد أحيانا يتوحد مع وطنه، والعامل يتوحد مع شركته، وفى هذه الحالة ينشأ الشعور بالهوية من خلال الانتماء إلى الآخر وليس من كون الفرد شخصا ما. كما يشير "فروم" إلى حاجة الإنسان إلى إطار مرجعى، كطريقة ثابتة ومستقرة في إدراكه للعالم حوله وفهمه له، وربما يكون هذا الإطار رشيدا أو غير رشيد، أو كلاهما معا. ويرى فروم أن هذه الحاجات إنسانية موضوعية خاصة، تمثل جزءا من طبيعة الإنسان، ومن خلال الترتيبات الاجتماعية التي يعيش الإنسان في ظلها، تستطيع هذه الحاجات أن تعرب عن نفسها، وعن الطرق العقلية التي

تتحقق بها، لأن شخصية الإنسان تنمو في نطاق الفرص التي يتيحها لـه المجتمع الذى يعيش فيه[1].

وهكذا اعتبر "فروم" الانتماء حاجة أساسية إنسانية ضرورية لحياة الإنسان، ولكنها أيضا موضوعية، تتأثر بالبناء والظروف المجتمعية التي يعيش فيها الفرد.

جـ- نظرية ليون فستنجر Leon Festinger للمقارنة الاجتماعية:

تعد هذه النظرية أساسا يؤدى بالفرد إلى معرفة قدرات الآخرين وقيمهم، وأفكارهم، ومن خلال التفاعل الإيجابى بينهم، يمكنه اكتساب قيمهم وأفكارهم ومعتقداتهم، مما يشير إلى انتمائه لهم، فالانتماء لا يتحقق إلا بالتفاعل الإيجابى مع الآخرين، وتفترض عملية المقارنة الاجتماعية، ضرورة وجود قدر من التشابه بينه وبين من يقارن نفسه بهم، وهناك بعض من الدراسات، اعتبرت المقارنة الاجتماعية أحد أبعاد الانتماء.

وملخص هذه النظرية أننا (نعيش في عالم نحتاج فيه لمعرفة قدراتنا وإمكانياتنا، ونحتاج إلى تقييم أنفسنا، كما نحتاج لمعرفة آرائنا وأحكامنا ومعتقداتنا واتجاهاتنا) ويرى فستنجر أنه لكى يكون هناك توحد بالجماعة من جانب أعضائها، فلا بد وأن تكون هناك وحدة في اتجاهات وسلوك هؤلاء الأعضاء، ويعتمد تحقيق أهداف الجماعة على مدى التعاون السائد بينهم، كما أن المعايير التي تؤمن بها الجماعة قد تتمثل في الواقع الاجتماعى Social Reality لأعضائها، إذ أن بعض معتقدات الشخص لا يمكن تصديقها بالوسائل الموضوعية، أو المحكات المنطقية، وذلك لأن صحة وصدق هذه المعتقدات تتكون بالاتفاق عليها، وما يشهد على صحتها هو أن الآخرين لديهم نفس المعتقدات إلى جانب تعضيد المعايير لأهداف الجماعة وتفسيرها، وإن كان دائما التشابه في الاستجابة ليس نتيجة لاستجابة الأفراد لمعايير الجماعة، ولكن قد يكون نتيجة لحاجة الفرد لصورة دقيقة عن عالمه الخارجى، فيعرف من خلالها الاختلاف بين إدراكه وتفكيره وإدراك الآخرين وتفكيرهم[2].

١- كالفن هول، جاردنر ليندزى، مرجع سابق، ص ص ١٧٣ - ١٧٥.

٢- محمود السيد أبو النيل، مرجع سابق، ص ٤٨٧.

وللمقارنة الاجتماعية أثرها على تقدير الذات، وقد أشارت إحدى الدراسات إلى عملية المقارنة الاجتماعية باعتبارها مصدرا لعدم ثبات واستقرار تقدير الذات، وافترضت لذلك ثلاثة فروض هى:

١- أن من لديه سمات شخصية مرغوبة بدرجة عالية، لديه انخفاض في تقدير الذات، وإذا كانت سمات الشخصية غير مرغوبة، يرتفع تقدير الذات.

٢- أن ارتفاع تقدير الذات أو انخفاضه يكون بدرجة أعلى عندما تكون فائدة المقارنة مرتفعة، عكس المنخفضة.

٣- أن ارتفاع تقدير الذات أو انخفاضه يكون أعلى عندما يفتقد الفرد مفهوم التآلف الذاتى Inconsistent Self-Concept، أكثر مما لو كان لديه هذا المفهوم.

وكانت عينة هذه الدراسة ٧٨ طالبا في مرحلة التخرج بجامعة ميتشيجان الأمريكية، الذين تم اختيارهم عشوائيا من خلال المتقدمين لإعلان منشور عن وظيفة بعينها، وقام المبحوثون بملئ عدة استمارات تتعلق بتقدير الذات، وهى استبيانات طورت كجزء من دراسة بعنوان (أساليب جدلية لاختيار الأفراد للوظائف) وتضمنت عبارات من قائمة كوبر سميث Cooper Smith 1959 لتقدير الذات، وأسفرت الدراسة عن عدة نتائج منها:

- إن الشخص المرغوب فيه اجتماعيا، نتاج انخفاض دال ذا معنى في تقدير الذات، بينما الشخص غير المرغوب اجتماعيا يدعم ويعزز بدلالة تقدير ذات الآخرين حوله.

- من لديهم انخفاض في التآلف الذاتى Self Consistency (اتساق)، هم الأكثر تأثرا بوجود الآخرين.

- كلما كانت المقارنة الاجتماعية عالية، كان التشابه أعلى، وكلما زاد التشابه بين الأفراد فإن ذلك يؤدى إلى تعزيز تقدير الذات، بينما الاختلاف وعدم التشابه يؤدى إلى تقليل تقدير الذات[1].

من خلال العرض السابق يتضح مدى التشابه والتكامل بين كلتا النظريتين، على مدى أهمية الجماعة في حياة الفرد، فهى تجسد الانتماء من كونه فكره مجردة إلى سلوك

1- Morse, Stan & Gergen, Kenneth J., "Social Comparison, Self Consistency, and Concept of Self", **Journal of Personality and Social Psychology**; Vol. 16, No.1, 1970, PP. 148 - 156.

يمارس في الواقع المعيش، ففى حين يرى "فروم" أن الانتماءBelongingness حاجة ضرورية إنسانية لا تتحقق إلا من خلال كيان اجتماعي، يكون مصدر فخر واعتزاز الفرد ويستمد منه قوته، ويشعر بأنه كيان أكبر وأقدر وأشمل، ويجد فيه معنى لوجوده وعالمه، ويحس فيه بالأمان، والاطمئنان ويكن له الولاء، مخلصا وراعيا لمصالحه منتميا إليه، وعلى الفرد أن يقيم علاقاته بالآخرين على الحب المثمر وأن يسمو على طبيعته الحيوانية، ويسمو بنفسه في علاقاته مع الآخرين مرتبطا ومتعاونا مع غيره، وفى ذات الوقت محتفظا لنفسه بتميزها وتفردها، ولأن الشعور بالهوية ينشأ من خلال الانتماء، فإن "ليون فستنجر" يؤكد أن الانتماء لا يحدث إلا من خلال الاتصال بالآخرين للمقارنة بينهم، وإننا حينما نتعامل مع الآخرين نقيم أفكارنا، وآراءنا، ومعتقداتنا، وقدراتنا الطبيعية والاجتماعية، وكم يفضل أن يكون هؤلاء الآخرين أفضل منا، وأن الاندماج والتوحد في الجماعة، لن يحدث إلا من خلال الوحدة في اتجاهات وسلوك أعضائها، ويسود التعاون والمسئولية بين الأعضاء، وهذا هو الطريق إلى تماسك أفراد الجماعة، وكلما ازداد أفراد الجماعة تماسكا، زادت قدرتها على فرض معاييرها، وقوانينها، وتقاليدها على الأفراد، وبالتالي كلما زاد انتماء الفرد للجماعة، زاد سلطان الجماعة عليه، وزاد تقبله لمعاييرها، باعتبار أن معايير الجماعة هى: مجموعة القواعد والسلوك والاتجاهات التي تدور حولها محاولات الجماعة للتوحيد بين أفرادها، أى أن المعيار الجماعى ينشأ إذا ما عرف أفراد الجماعة أن مدى معينا من السلوك أو الاتجاه يكون متوقعا منهم، وأن الانحراف عن هذا المدى تباركه الجماعة، وأنه سيعالج بطريقة معينة، والمعايير الاجتماعية هى التي تكون الإطارات المرجعية للعلاقات بين الأعضاء، ويصعب أن يفسر التشابه في سلوك الأفراد بين الجماعات على غير هذا الأساس، وجاذبية الجماعة وراء تحديدها لقوة معاييرها، وتأثيرها على أفرادها، وكلما ازدادت جاذبية الجماعة لأفرادها، زاد تماسكها، وزادت قوتها على أفرادها، وانصاعوا لمعاييرها[1].

ومن العوامل التي تساعد الأفراد على الإذعان لمعايير الجماعة، درجة تماسك أفراد الجماعة، ودرجة الاتفاق على المعايير، ودرجة وضوح الواقع الذى تستند إليه المعايير،

١- لويس كامل مليكة، مرجع سابق، ص٨١ - ١٠٤.

والثواب والعقاب المرتبطين بالإذعان للجماعة، وتقدير الفرد لقدرة الجماعة على الحكم السليم، والسمات الشخصية للفرد العضو، ومكانة الفرد في الجماعة. وتعبر ظاهرة تماسك الجماعة عن قوة الروابط بين أعضائها، ومدى جاذبية الجماعة لأفرادها، وكلما زادت قدرة الجماعة على فرض تقاليدها ومعاييرها وقواعدها السلوكية، دل ذلك على تماسك الجماعة، وكلما زاد انتماء وولاء الفرد للجماعة، زاد سلطان الجماعة عليه، وزاد استعداده لتقبل معاييرها، وتشير دراسات فستنجر وزملائه إلى أنه بالقدر الذى تزيد وتقوى علاقات الصداقة بين الأعضاء – كمؤشر لقوة التماسك – كلما زادت قدرة الجماعة على فرض معاييرها على الأعضاء، وقلت احتمالات انحراف أفرادها عن هذه المعايير[1]. ولقد اتخذ التماسك لنفسه عدة معانى منها: (الروح المعنوية، الاتحاد، التنسيق بين جهود الأعضاء، الإنتاج، العمل بروح الفريق، التجاذب نحو الجماعة، مقاومة التخلى عن عضوية الجماعة)، كما أن تزايد جاذبية الجماعة، ومن ثم تماسكها يزداد عن طريق زيادة قدرتها على إشباع حاجات أعضائها كالحاجة إلي المكانة والتقدير، والأمن، وكذلك عن طريق وجود علاقات تعاونية، وتهيئة الفرص للتفاعل الحر، ويزداد التماسك نتيجة التشابه بين أعضاء الجماعة وتعرضها لأحداث خارجية، كتوجيه النقد أو الضغط عليها، وعلى العكس من ذلك، فإن نقص تماسك الجماعة، نتيجة لنقص جاذبيتها لأفرادها، وتناقص الحاجات التي كانت الجماعة مصدرا لإشباعها لدى أفرادها، تتناقص درجة صلاحية الجماعة لإشباع الحاجات القائمة، ويتوقف بقاء الفرد في عضوية الجماعة أو تخلصه منها، على محصلة الجاذبية، وفى ضوء هذه الجاذبية يتحدد مدى التماسك طبقا لوجهة تأثير الجماعة[2].

استخلاصا مما سبق تتضح العلاقة الجدلية بين الانتماء، والجماعة التي تجسده، في ضوء بعض النظريات في مجال علم النفس العام والاجتماعى، والتي وجهت الدراسة الراهنة:

١- أحمد صقر عاشور، مرجع سابق، ص ص ٢٥٩ - ٢٦٤.

٢- لويس كامل مليكة، مرجع سابق، ص ص ١٦٢ - ١٧٨.

- ضرورة وجود الجماعة ككيان بشرى، يتجسد فيها الانتماء من كونه فكرة إلى الوجود المعاش سلوكا وممارسة بين الأفراد من خلال مواقف حياتية.

- ضرورة أن تكون هذه الجماعة مصدر فخر وإعتزاز لأعضائها، تحتويهم وتوفر لهم حاجاتهم الأساسية ليقبلوا عليها في حب، وإخلاص، وولاء، عاملين بجد على بنائها، وبقائها وتطورها.

- ضرورة أن يلتزم أفراد الجماعة بمعاييرها، وقوانينها، وتقاليدها، وإن كانت الجماعة تضطر أحيانا إلى فرضها بالقوة من خلال أساليب مختلفة من الضغط، لإيجاد نوع من الالتزام من الأفراد تجاه كيان جماعتهم، حرصا على سلامة وجودها، واستمرار بقائها، وتطورها.

- الاتصال بالآخرين ضرورة حتمية، والمقارنة الاجتماعية بين الآراء والأفكار والمعتقدات، بمن هم أفضل، سببا في تغير الاتجاهات سلبا أو إيجابا، وحدوث نوع من التقارب، إن لم يكن التشابه إلى حد ما، حيث تتغير آراء، وتبنى أخرى جديدة، حرصا على بقاء الجماعة وتطورها.

- ضرورة أن تعمل الجماعة على نمو ذاتية الفرد، وتحقيق ذاته وتميزها عن غيرها، حيث لا انتماء بدون جماعة ينتمى إليها، ولا هوية بدون انتماء لجماعة، فالهوية تنشأ من الانتماء الذى يؤكد وجودها، ويسمح بتميز وفردية العضو فيها.

- تماسك أفراد الجماعة يشير إلى وجود قيم الانتماء من (الحب - المسئولية - التعاون - العدل - الديمقراطية - الحرية - الولاء - العمل المثمر) وحين يتأكد الانتماء يزداد الامتثال لمعايير الجماعة وقوانينها بهدف حفظ كيانها وبقاء استمرارها.

(٢) الانتماء في الفلسفة وعلم الاجتماع المعاصر:

تناولت النظريات الفلسفية عموما الانتماء صراحة وضمنا، والدراسة الراهنة تهتم بالانتماء في بعض النظريات في الفلسفة وعلم الاجتماع المعاصر (الماركسية، الوظيفية البنائية، الاتجاه النقدى) حتى يسهم ذلك في استخلاص رؤى محددة تتفق وبنية المجتمع المصرى، وتوجه سير الدراسة الراهنة.

أ- الماركسية والانتماء:

تناولت الماركسية الانتماء من خلال "الحرية، وقصرته على الإنسان الاجتماعى، الذى يتحد مع الجماعة ويتلاحم مع ظروف معيشتها، وليس ذاك الذى ينعزل عنها وينسلخ منها، ولذا فإن الماركسية تحدد بداية الإطار الذى من خلاله يبدأ الفرد في السعى لإشباع حاجاته، ثم نحو تحرير ذاته نهائيا من الخضوع لضرورات الطبيعة والمجتمع، وتتحقق الحرية في المرحلة التي يتحقق فيها إشباع الفرد لحاجاته إشباعا كاملا، ولكل أفراد المجتمع، أى أنها تضع تفسيرها للحرية من خلال الواقع المعيش الذى يضمه والتاريخ الذى يشهد تطوره"[1].

وعالجت المادية التاريخية الانتماء، " بوصفه انتماء طبقيا، وقدمت رؤية كاملة للصراع الطبقى كما قدمت فهما للوعي الاجتماعى، واعتبرت تزييفه هو تزييف للانتماء أيضا، ويعتبر الانتماء الحقيقى في المادية التاريخية، هو الانتماء لطبقة الأغلبية في المجتمع. فالوعي الاجتماعى في الرأسمالية هو وعي الطبقة البرجوازية بالدرجة الأولى، نظرا لامتلاكها لوسائل الإنتاج الفكرى والمادى حيث تفرض أفكارها، وأمزجتها على المجتمع"[2].

وتعتبر الماركسية الوعي، هو في الأساس نتاجا اجتماعيا، فالأساس الذى ينشأ الوعي فوقه، ويتطور عليه، هو الممارسة المادية للبشر، والبنية الاقتصادية هى التي تحدد وعي البشر في السياق النهائى، دون أن تستنفذ محتوى الوجود الاجتماعى نفسه، كما أن الوجود لا يقتصر على علاقات الإنتاج فحسب، بل أيضا يتضمن علاقات البشر مع الطبيعة فإنها تنعكس بدورها في الوعي، فالوعي الاجتماعى مشروط بالوجود الاجتماعى للتشكيله المعطاه وللعصر المعطى، وهو إلى جانب ارتباطه بموضوع الانعكاس، يرتبط بحامل الوعي المشخص والعلاقات الاقتصادية نفسها، وموضوع الانعكاس نفسه، ليلتقطها وعي الطبقات المختلفة بصورة مختلفة، كل طبقة تقيم الواقع بطريقتها الخاصة. وعند تحليل

١- كمال الدين صلاح محمد رحيم، **السلطة في الفكر الإسلامى والماركسى**؛ القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٧، ص ٢٤٦.

٢- أ. ك. أوليدوف، **الوعي الاجتماعى**؛ ترجمة ميشيل كيلو، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٨٢، ص ١٩٣.

الظواهر الفكرية، يجب مراعاة أن الوعي انعكاس للوجود، وأنه يتحدد به أيضا، أى الانتباه إلى الترابط المتبادل بين الوجود الاجتماعى، والوعي الاجتماعى، الذى هو علاقة سببية يعود فيها الدور المعين إلى الوجود الاجتماعى، والانعكاس هو جانب من هذه العلاقة وشكلها الخاص ونتيجتها، ويلعب الانعكاس والوعي دورا نشطا وخلاقا في علاقته بالوجود الاجتماعى ويؤثر -إلى جانب عوامل أخرى- على مختلف العلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات الاقتصادية[1].

ويرتبط مفهوم الأساس الاقتصادى بالبناء الفوقى الذى يتضمن الأفكار، والتنظيمات والنظم، ويتضمن أفكار البناء الفوقى وجهات النظر السياسية والتشريعية، والأخلاقية، والجمالية، والدينية، والفلسفية، وهذه الأفكار تحدد صور الوعي الاجتماعى وأشكاله، التي تعكس مباشرة العلاقات الاقتصادية. وتظهر علاقات البناء الفوقى الأيديولوجيا على خلاف علاقات الإنتاج التي تتشكل وتتكون بعيدة ومستقلة عن الوعي الاجتماعى، فتجد العلاقات الأيديولوجية لا تتشكل ولا تتكون إلا من خلال الوعي الاجتماعى، وبالرغم من أن ظاهرات البناء الفوقى تتحدد بالأساس الاقتصادى، فإن لها تطورها واستقلالها النسبى، فلكل تكوين اجتماعى اقتصادى أساس محدد، وبناء فوقى يطابق هذا الأساس، ومع أن البناء الفوقى لأى تكوين يستمد وجوده من الأساس الاقتصادى ويأتى معبرا عنه، إلا أنه يلعب دورا إيجابيا، وفعالا في المسار التاريخى للبناء الاجتماعى، ويؤثر في كل جوانبه وأبعاده بما في ذلك الأساس الاقتصادى الذى يعزى إليه وجود البناء الفوقى[2].

استخلاصا مما سبق يتضح أن الوجود يحدد الوعي، فالإنسان كائن واع يخلق عالما موضوعيا من خلال نشاطه العملى، وعلاقته بذاته تصبح حقيقة موضوعية من خلال علاقته بالآخرين، وأن حياة الفرد هى تأكيد للحياة الاجتماعية، وإن كان الإنسان كائنا طبيعيا أنانيا لذاته، فإنه كائن نوعي يسعى ليؤكد ذاته من حيث وجوده ووعيه، وفى المجتمع الرأسمالى تسيطر طبقة البرجوازية على طبقة البروليتاريا، وطورت كل طبقة

١- المرجع السابق، ص ص ١٤-٢٠.

٢- عبد الباسط عبد المعطى، في نظرية علم الاجتماع؛ الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧، ص ص ٧٤ -٨٠.

معاييرها التي تتفق ومصالحها، لذلك فالعلاقة الطبقية هى علاقة استغلالية، تسعى فيها الطبقة المسيطرة لاستغلال بقية المجتمع، من خلال ملكيتها لأدوات الإنتاج، مما يسبب اغتراب البروليتاريا، وتدفعها للقيام بالثورة لتأسيس ملكية الدولة لوسائل الإنتاج، وإقامة مجتمع لا طبقى، لأن الماركسية لا تقنع بوجود تفاوت طبقى، وإنما تسعى لتحقيق المساواة الطبقية، وترى أن السلطة تجسيد للدكتاتورية الطبقية، وتمكن الطبقة المالكة من إحكام سيطرتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، واستغلال بقية الطبقات الأخرى، وأن الفرد الحر هو الذى في تلاحم مع الجماعة، ويسعى لإشباع حاجاته، من خلال تحرير ذاته نهائيا من الخضوع للطبقة المسيطرة المستغلة، فإنه بذلك يكون **المنتمى الحقيقى - وفقا للمنظور الماركسى**- هو ذاك: المنتمى لطبقة الأغلبية البروليتاريا، ويرفض استغلاله من قبل طبقة البرجوازية، وعليه أن يسعى لتخليص مجتمعه، مما هو كائن إلى ما يجب أن يكون، وأن يكون على وعي بقضايا ومشكلات مجتمعه، وأن يعتقد تماما في أن حريته في اتحاده مع الجماعة، وليس بالانسلاخ عنها، حتى يتمكنوا من محاصرة الطبقة المسيطرة التي تسلبهم حقوقهم، بل والثورة عليها ليتمكنوا من نيل حقوقهم، وإشباع حاجاتهم، وتحقيق المجتمع اللاطبقى[1].

- جماعة من العلماء السوفيت، **الفلسفة الماركسية في القرن التاسع عشر**؛ ترجمة حامد حيدر، القاهرة، مكتبة الفارابى، ١٩٩٠، ص ص ٦٥ - ٦٨، ص ص ١٤٣ - ١٤٦، ص ص ١٥٢ -١٥٨.

ولمزيد من التفصيل حول المنتمى الحقيقى من وجهة نظر الماركسية راجع:

- هربرت ماركيوز، **العقل والثورة - هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية**؛ ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ص ٢٨٨ - ٢٩٥.
- محمد الجوهرى وآخران، **التغير الاجتماعى**؛ القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ص ٢٦-٢٨.
- على ليلة، **النظرية الاجتماعية المعاصرة**؛ ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص ٣٥٠.
- عبد الباسط عبد المعطى، **الوعي التنموى العربى**؛ ممارسة بحثية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٣، ص ١٧.
- عثمان حسين عثمان هنيدى، **البناء الطبقى والحراك السياسى في المجتمع المصرى من ٥٢ - ١٩٨٧**؛ دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩١، ص ٢٧.
- عبد الله محمد حسين شلبى، **العالم الثالث، والاختيار الأيديولوجى، مصر نموذجا: دراسة بنائية تاريخية ٥٢-١٩٧٠**؛ ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٥، ص ص ١٠-٢٢.

ب- الوظيفية البنائية والانتماء:

إن الخاصية الأساسية المميزة للوظيفية أنها "تركز اهتمامها على دراسة المجتمع كوحده كلية، وفي ضوء التصور النسقي للمجتمع تتحدد الراوبط بداخله، سواء في حالتها المستقرة، أو في حالتها الدينامية، ذلك أن المجتمع يتألف من مجموعة من الأجزاء المترابطة التي يتحقق فيها التكامل، الذى يؤدى إلى حالة توازن، ويسهم كل جزء من أجزاء المجتمع في بقاء الأجزاء الأخرى والمحافظة على وجودها، وتحقيق التوازن بين هذه الأجزاء، نظرا لأن كل تغير يحدث لواحد منها يؤدى إلىتغير في الأجزاء الأخرى، لذا لا يبدو أن التوازن في المجتمع متسم بالطابع الاستقرارى، ولكنه توازن متحرك، فالتغير في جزء يدعو لتغيرات تعويضية في الأجزاء الأخرى، ولهذا يتسم التغير في المجتمع بالطابع المنظم"[1].

ويعد الفعل الاجتماعى هو "جوهر الوظيفية، وهو في الوقت ذاته نموذج مصغر للظاهرة الاجتماعية، ويتضمن عوامل بيولوجية و نفسية و اجتماعية و بيئية، وتعبر عنه وحدة السلوك، وما الانتماء إلا حاجة يحركها دافع لإشباعها تتخذ في النهاية شكل سلوك ذا أبعاد نفسية واجتماعية وبيئية، ويتأثر بالظروف المحيطة، اقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا وثقافيا، فالانتماء يتضح لدى الوظيفية البنائية من خلال الفعل الاجتماعى"[2].

والفعل الاجتماعى لا يتم إلا إذا توافر كل من (الموقف، والمعايير التي توجه سلوك الفاعل، والرموز التي من خلالها يتم التواصل داخل الموقف) وتعتبر وحدة السلوك هى "الصورة المصغرة للفعل، لذلك فإن تداخل عناصر السلوك المختلفة وتشابكها في مواقف الحياة المختلفة، يؤدى إلى بناء كلى أساسه نسق الفعل الاجتماعى، وتسهم القيم والمعايير في خلق درجة من الانتظام، والترابط بين وحدات السلوك المختلفة، بحيث يمكن القول بأن

١- محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفية، التحليل الوظيفى للمجتمع: أسسه التصورية والمنهجية؛ الكتاب الثانى، ط١، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢، ص ٨.

٢- محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفية، الوظيفية: ملامحها العامة وأبعادها التاريخية وصورها المعاصرة؛ الكتاب الأول، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨١، ص ٢٢٩.

وحدات السلوك المختلفة المشكلة لمختلف الأفعال الاجتماعية تسبح جميعا في بحر من القيم والمعايير، الأمر الذى يحقق بينها الترابط والانسجام ولا يدخلها في صدام مدمر"[1].

ولقد صور "دوركايم" Durkhim المجتمع على أنه وحدة له وجود وحقيقة مستقلة عن وجود وحقيقة الفرد، وأن المجتمع بهذه الصفة يستطيع أن يمارس الضغط على أعضائه من الأفراد، وأن يضبط سلوكهم، بحيث يجعله يأتى على نحو معين، يضمن بقاء المجتمع واستمراره، ويعنى هذا التصور للمجتمع التسليم بوجود عقل جماعى لدى المجتمع، فكأن المجتمع له وجوده المستقل عن وجود الأفراد، وله أيضا طريقته الخاصة في التفكير والإحساس والسلوك، كما تتمثل هذه الطريقة الخاصة في التصورات الجماعية التي لها طبيعتها الخاصة بها، لأنها ناشئة عن تفاعل تفكير الأفراد ومشاعرهم ورغباتهم، ولكن هذا التفاعل يخلق مستوى من الوجود له طابع مميز عن وجود العناصر المفردة، عندما توجد منعزلة عن بعضها البعض، وهكذا تعبر التصورات الجماعية عن الحياة العقلية للمجتمع بوصفه وحدة ذات طبيعة خاصة مميزة عن طبيعة الأفراد، ولما كان المجتمع لديه القدرة على ممارسة ضغط خارجي على سلوك أفراده، فيمكنه أن يحقق بصفة مستمرة الشروط اللازمة لاستمرار بقائه، وذلك بان يفرض هذه الشروط على أعضائه من الأفراد، ويتحقق ذلك بواسطة ضبط سلوك هؤلاء الأفراد ببعض الوسائل والعمليات الاجتماعية، ومنها: التنشئة الاجتماعية، والضبط الاجتماعى[2].

إن الأيديولوجيات التي اهتمت بها الوظيفية جاءت تؤكد على جوانب أخرى في البناء الاجتماعى، و "تلح في التأكيد والتشديد على الاستقرار، وتحاول إلغاء كل إرادة واعية للإنسان بدعوى مبالغ فيها لسمو المجتمع وتفوقه على كل أعضائه، فنجد "بارسونز" Prsons يرى أن أى خروج على القيم يعد انحرافا يستوجب مزيدا من الضبط ومزيدا من الجزاء، وعلى ذلك فإنه بالرغم من وجود رغبة علمية في بناء الوظيفية ومحاولاتها ومحاوراتها مع بعض الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع وخاصة الماركسية، فإنها

١- أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية؛ ط٢، مرجع سابق، ص ص ١١١ - ١١٢.

٢- محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفية، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص ص ١٠٦ - ١٠٧.

جاءت في بعض مواقفها تبريرية جندت نفسها للدفاع عن النظام الاجتماعى القائم، والمصالح التي يدافع عنها"[1].

وهكذا تحدد معنى الانتماء في مضمون الوظيفية البنائية على النحو التالي: طالما أن الوظيفية البنائية تعتبر المجتمع ذا وجود حقيقى مستقل عن وجود حقيقة الفرد، وأنه يستطيع أن يمارس ضغوطه على الأفراد ليضبط سلوكهم بما يضمن بقاءه واستمراره، وبما أن الوظيفية البنائية تعترف بوجود الطبقية – استنادا إلى تفاوت القدرات والملكات لدى الأفراد – وتبرر استغلال الرأسمالى للعامل، بزعم أن حاجاته محدودة، وإنه لا يمكن أن تحل طبقة محل أخرى، إلا إذا كانت متماثلة في الاستعدادات الطبقية، وترفض صور الصراع الاجتماعى، وتؤكد على التوازن، وبما أنها تعتبر أن الاشباع حاجة اجتماعية، يتجاوز فيها الفرد أنانيته وذاته الفردية، وعليه فإن أفعال الفرد هى بمثابة التزام خلقى تجاه المجتمع، يفرضها المجتمع عليه فرضا، ولذا في المقابل ترى القهر سلطة أخلاقية من قبل المجتمع، وفى تركيز الوظيفية البنائية على الفعل الاجتماعى بوصفه يتضمن عوامل بيولوجية و نفسية و اجتماعية وتعبر عنه وحدة السلوك، التي هى الصورة المصغرة للفعل الاجتماعى، لذا فإن تداخل عناصر السلوك وتشابكها في مواقف الحياة تكون بناء كليا، وتسهم القيم والمعايير في خلق درجة من الانتظام والترابط بين وحدات السلوك، حيث وراء كل سلوك اهتمام الفاعل، وهذا الاهتمام يمثل قوة دافعة لهذا السلوك، وتتأثر الاهتمامات بنمو وتطور شخصية الفاعل، وأن المتغيرات الثقافية القيمية هى متغيرات ذات دور فعال في إنجاز الفعل الاجتماعى، وإن كانت ذات طبيعة بيولوجية اجتماعية[2].

١- عبد الباسط عبد المعطى، في نظرية علم الاجتماع؛ مرجع سابق، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

٢- على ليلة، مرجع سابق، ص ص٣٤٥ - ٣٥٣. ولمزيد من التفصيل حول المنحى الحقيقى في الوظيفية البنائية، راجع:

- أحمد زايد، البناء السياسى في الريف المصرى في تحليل لجماعة الصفوة القديمة؛ ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص ص٨١ - ٨٤.

- أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات النقدية والكلاسيكية، مرجع سابق، ص ص ١٢١ - ١٢٧.

وفي ضوء ما سبق فإن المنتمى الحقيقى من وجهة نظر الوظيفية البنائية هـــو: ذاك الفرد الذى يكون على درجة عالية من التكيف والانسجام مع قيم المجتمـــع، وأن يســـتجيب لنمط الثقافة والقيم والمعايير السائدة، وأن يتخلى عن فرديته وأنانيته في إشـــباع حاجاتـــه، ويسعى لإشباع حاجات المجتمع أولا، وعليه أن يقدم تنازلات ويستجيب للضغـــوط التـــي يفرضها عليه المجتمع، باعتبارها التزاما خلقيا للصالح العام وللحفاظ على توازن المجتمـــع واستقراره، وأن يكون قادرا على ضبط سلوكه، وبالأحرى: عليه أن يتكيف مـــع الوضـــع القائم، ويعمل على تدعيمه، وإشباع حاجات النظام القائم، قبل حاجاته الذاتية، ســـواء كـــان فرد أم جماعة أم طبقة، وذلك على اعتبار أن الفعل الفردى هو النواة الأساسية التي تلتقـــى مع فعل آخر لتشكل التفاعل والنسق الاجتماعى.

جـــ- الاتجاه النقدى والانتماء:

ظهرت الاتجاهات النقدية نتيجة للتناقضات التي دعمتها البنائية في المجتمعات الغربيـــة في الثلاثة عقود الأخيرة، وتعارض الاتجاهات النقديـــة بشـــدة النظريـــة السوســـيولوجية الكلاسيكية، وما ارتبط بها من بحوث إمبريقية، واتسم هذا الاتجاه بحركة نقدية ذات طـــابع اجتماعى، ويعد "تشارلز رايت ميلز" Charles R. Mills رائد هذا الاتجـــاه، ويعتـــبر هذا الاتجاه امتدادا للفكر الأدبى في إطار النظرية السوسيولوجية، حيـــث الاهتمـــام بالقضايـــا التاريخية، والاجتماعية الشاملة التي تنتاب البناء الاجتماعى، وخاصة البناء الطبقـــى فـــي أمريكا منذ القرن التاسع عشر[1].

وظهر رافد نقدى آخر يمثل استمرارا للماركسية، مطورا لمقولاتها النظرية أو مؤكـــدا على عدم ملائمتها للواقع الصناعى الأمريكى الخاص ومن أهم رواد هذا الاتجاه "هربـــرت ماركيوز" Herbart Marcious الذى يرى أن البروليتاريا لم تعد أداة للتحـــول التـــاريخى، لأن العمال اتحدوا مع البرجوازيين، واتفقوا على المحافظـــة علـــى المؤسســـات القائمـــة، وأصبحت البروليتاريا - على حد تعبير هيجل في (وعي سعيد) - وهو نوع من الخـــداع النفسى بمصالحهم الحقيقية، ويـــرى "مـــاركيوز" أن الإطاحـــة بالنظـــام الـــرأسمالى

١- المرجع السابق، ص ٢٤٣. وللمزيد من التفصيـــل حـــول "تشارلز رايت ميلز"، راجع: المرجع نفسه، ص ص ٢٤١-٢٧٨.

الحديث معلق بالقوى التي لم تتمكن الرأسمالية من دمجها بعد، وهي جماعة المنبوذين اللامنتمين للمجتمع الرأسمالي، والعاطلين عن العمل، والطبقات والجماعات العنصرية المستغلة[1].

ويرى "ميلز" أن التطورات الاقتصادية في القرن العشرين يجب أن تفسر في ضوء التغيرات في القوى السياسية، والعسكرية، ولا يحبذ ميلز استبدال الحتمية الاقتصادية بأخرى سياسية عسكرية، ولكنه يؤكد على ترابط هذه الأنماط جميعا، ولم يقف من الماركسية موقف الرفض، وإنما يقدم منهجا جديدا للماركسية برؤية عصرية، ويقوم نقده على فكرة جوهرية مؤداها: أن المجتمع الرأسمالي المعاصر يختلف جذريا عن المجتمع الرأسمالي الذى كتب عنه ماركس، وأن هذا المجتمع طرأ عليه بعض التغيرات النظامية أدت في النهاية إلى التالي:

- عدم إمكانية تحقيق الأفكار الرأسمالية، وخاصة الصراع الطبقي تمهيدا لظهور الشيوعية.

- إن أشكال الاقتصاد امتدت وتشعبت جذورها، وأصبحت ترتبط بالبناء النظامي للمجتمع ككل، وأنتج السلوك الرأسمالي شرائح أخرى غير طبقة الملاك، وأصبحت تمارس أشكالا جديدة من الاستغلال النفسي، وسلب حرية الفكر والإرادة.

- الفئات المستغلة خمس فئات جديدة أهمها وأكبرها من الطبقة الوسطى، ولا يمكن أن تنضم إلى طبقة العمال.

- صاغ "ماركس" نظريته في مكان بعينه، وفي فترة تاريخية بعينها، واذا فإنه عاش ظروف المجتمع الذى كتب عنه، وظروف الفترة التاريخية التي تناولها بالتحليل.

- يرى "ميلز" أن طبقة العمال أصبحت غير قادرة على الثورة في المجتمع الرأسمالي لما حققته من مكاسب، كما يرى أن الانتماء الحقيقي يتم عندما يتحقق لدى الأفراد وعي حقيقي بقضايا مجتمعاتهم الكبرى، متجاوزين بذلك حدود مشكلاتهم الشخصية، لأن الاهتمام بالقضايا العامة يخلق وعيا حقيقيا بحقائق الواقع الاجتماعي الذى يعيش فيه، كما يخلق لديه الاحساس بالمسئولية الأخلاقية والالتزام السياسي، ويتحقق الانتماء حينما يصبح

١- على ليلة، مرجع سابق، ص ٦٤٨ - ٦٦٠.

المجتمع خاليا من السيطرة والاستغلال الاقتصادى، وتصبح ملكية وسائل الإنتاج جماعية لا فردية، ويصبح إتخاذ القرار جماعيا، ويحرص النظام على إشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع، ويتيح لهم فرصة الاستمتاع بوقت الفراغ، الذى يعيد للفرد إنسانيته، ويحقق له ذاته التي اغتربت عنه في المجتمع التكنولوجى[1].

وعلى ذلك فإن **المنتمى الحقيقى من وجهة نظر الاتجاه النقدى هو**: ذاك الذى على وعي تام وإدراك بالأوضاع السائدة في مجتمعه من قضايا ومشكلات، ويتجاوز بوعيه مشكلاته الخاصة إلى المشكلات المجتمعية، ويرفض استغلال الطبقة المسيطرة، ويحاول تحقيق الأهداف المجتمعية لصالح الأغلبية ويشارك في إقامة مجتمع أكثر عدلا وملكيته جماعية، ويشبع حاجات الأفراد الأساسية الحقيقية، وينتفى في إطاره القهر السياسى بأساليبه الخفية والمعلنة. وفى هذا اتفاق مع ما ذهب إليه "ماركيوز" الذى عزلها عن دورها التاريخى، ولذا اهتم "ميلز" بدور المثقفين كأداة فعالة في التغير الاجتماعى، في حين أسند "ماركيوز" هذا الدور لكل من يحس الظلم والاستغلال تحت وطأة هذا النظام، ومن ثم فيمكن أن تقوم الثورة على يد الطلبة أو الزنوج من سكان الأكواخ، أو غيرهم من القوى التي تختلف في أصولها الطبقية وطبيعة تكوينها، ولكنها تشترك في عنصر واحد، وهو عداؤها لحكومات المجتمعات الصناعية المتقدمة، ويركز ماركيوز خاصة على الحركات الطلابية لما لها من ثقافة خاصة تختلف عن ثقافة السوق الشائعة وتتناقض معها، وهنا تكمن قوتها في قدرتها على التغيير. كما كشف ميلز عن طبيعة التناقضات داخل المجتمع الرأسمالى، وإن الإنسان بداخله صار لا يكترث بما يدور حوله، ولا يشارك فيه، ويعيش في حالة اغتراب داخل عمله، وتقوم وسائل الإعلام بحشد ما يريده صناع السياسة في ذهنه، وإن نسق القوة السائدة في المجتمع الرأسمالى يعتمد على أساليب غير معلنة للقهر السياسى، ويتحكم في الأفراد بطريقة خفية، ويحركهم حسب أهوائه من خلال الإعلام ونظم الإنتاج[2].

١- شومبليه جاندرو، كورفوازييه، **مدخل إلى علم الاجتماع السياسى**؛ ترجمة إسماعيل غزال، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص ص ٤٤ - ٤٩.

٢- أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات النقدية والكلاسيكية، ط٢، مرجع سابق، ص٢٢٣، ص٢٦١، ص٢٨٣.

استخلاصا مما سبق يتضح اتفاق علماء الإتجاه النقدى على استغلال الطبقة البرجوازية الأقلية للأغلبية، وأن التغيير ضرورة حتمية ضد الظلم الذى تفرضه الطبقة البرجوازية، متفقين بذلك مع النظرية الماركسية، وإن كان الاختلاف معها في أن طبقة البروليتاريا – من وجهة نظر الاتجاه النقدى – لم تعد تصلح لمهمتها التاريخية كأداة للتغيير الثورى، حيث تنبهت البرجوازية إلى ذلك فنجحت في تزييف وعي البروليتاريا وخداعها، وأوهمتها بضرورة الحفاظ على الأوضاع القائمة، ومن ثم أصبحت البروليتاريا ليست بحاجة إلى الثورة والتغيير خاصة وأنهم في البلاد الرأسمالية المتقدمة حصلوا على حقوقهم السياسية والاقتصادية، وتحسنت أوضاعهم نتيجة للدور السياسى والاقتصادى للنقابات العمالية، بل وأخذ قادة البروليتاريا يسعون إلى أن يكونوا أعضاء في صفوة القوة الحاكمة، ولذا أسند "ماركيوز" مهمة الثورة والتغيير إلى جماعة المنبوذين اللامنتمين، والعاطلين، والجماعات المستغلة التي تحس الظلم وخاصة الطلبة، لأن ثقافتهم ثقافة مختلفة عن ثقافة السوق، اتفاقا مع "ميلز"، الذى أشار إلى دور المثقفين كأداة فعالة للتغيير، كما يتضح تغير صور الاستغلال، فتتجاوز الشكل الاقتصادى، إلى أساليب أخرى أكثر فعالية، حيث سلبت الفكر والإرادة، وتحولت المشكلات الاقتصادية إلى مشكلات ذات طابع سياسى وعسكرى، وظهرت شرائح طبقية جديدة، وفقدت الطبقة الوسطى جذورها وانتماءها، بعد أن فرضت عليها أيديولوجية الطبقة المستغلة، التي تركز على الفردية والإحتكار، كما فرضت عليها التعمية والتجهيل بفعل وسائل الإعلام، التي تبث ما ترغبه السلطة السياسة وأيضا تعددت أساليب القهر السياسى، وأتخذت أشكالا غير معلنة، يتم من خلالها التحكم في الأفراد وقهرهم، وبذلك تنجح في خلق الإنسان ذا البعد الواحد، الفاقد القدرة على الإرادة والرفض ، والذى في حالة تكيف مع النظام القائم والأوضاع السائدة، بل ربما هم أنفسهم يسعون للحفاظ على بقاء هذه الطبقة المسيطرة، ولذا أصبح الإنسان في هذه المجتمعات غالبا ما يشعر بالاغتراب عن كل ما حوله، وأصبحت اللامبالاة أهم سماته، ليس عن أشياء كامنة في ذاته، وإنما كامنة في المجتمع، وخاصة الأساليب التي تتبعها الطبقات المسيطرة في ممارساتها السياسية، كما أن الترشيد الموجه صورة من صور احتكار الإرادة ويزيد من الاغتراب، وتظهر اللامبالاة تجاه القضايا

العامة والسياسية، خاصة نتيجة عجز الفرد عن المشاركة في الحياة السياسية، ويعمل الإعلام على الترويج لرأى القواد، فيضطر المواطن إلى ترك مجال السياسة للساسة والمحترفين، نظرا لتعقد الحياة السياسية وتشابك نسيجها، ويكتفى بان يرشح من ينوب عنه للوصول للحكم، تاركا لهم حرية التصرف[1].

ثالثا: استخلاصات حول مفهوم الانتماء وبنية المجتمع المصرى:

من خلال العرض السابق لمفهوم الانتماء، وجماعة الانتماء، والمنتمي الحقيقي، تمكنت الباحثة من استخلاص الرؤية التالية، وخاصة وأنه قد سبق التأكيد على أهمية البعد الاجتماعى للانتماء، الذى ينقله من كونه فكرة مجردة إلى حيز التفاعل النشط، وصولا لتحقيق الأهداف المرجوة من تماسك المجتمع وتقدمه، واتضح أن كلا من النظريات الثلاث لا تتفق وخصوصية المجتمع المصرى وما حدث فيه من تطورات اقتصادية واجتماعية وثقافية، حتى تتبنى الدراسة الراهنة أيا منها، ويرجع جوهر هذه الخصوصية إلى أن مجتمعنا المصرى مجتمع سريع التغير، انتقالى، من الناحيتن الاقتصادية والاجتماعية، متأثر بالتغيرات العالمية، ونظرا لحساسية موقعه ومكانته التي تجعل منه مطمعا، وتجرفه تيارات استغلالية – بدرجة أو بأخرى – فهى ذات تأثير فعال على البنية الاجتماعية، والأيديولوجية السائدة.

ولما كان المجتمع المصرى لم يعرف الإقطاع بشكله الكلاسيكى، ولم يعرف الرأسمالية الكاملة، وعرف إلى جانب ذلك شكلا من أشكال التخطيط الاشتراكى، أو رأسمالية الدولة، بحيث أدى إلى وجود أشكال مختلفة للإنتاج، بعضها رواسب من أشكاله القديمة، وبعضها

١- المرجع السابق، ص ص ٢٤٣ – ٢٨٤. وللمزيد من التفصيل حول المنتمى الحقيقى من وجهة نظر الاتجاه النقدى، راجع:

- آمال السواح، **النظرية السوسيولوجية عند تشارلز رايت ميلز**؛ دبلوم معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٥، ص ٧٦، ص ٧٧، ص٨١، ص ١٩٩.

- هربرت ماركيوز، **الإنسان ذو البعد الواحد**؛ ط٣، ترجمة جورج طرابيشى، بيروت، منشورات الآداب، ١٩٧٣، ص ص ١٢-١٣، ص٢٢، ص٣٨، ص٤٦،ص ٨٦، ص ص ٢٦٦-٢٦٧.

حديث مهيمن، وتتداخل هذه الأشكال المتعددة، وتوجد بجانب بعضها البعض، مما يترتب على وجودها بهذا الشكل بناء طبقي متنوع، فتنوعت الطبقات في المجتمع المصرى بتنوع أشكال الإنتاج السائدة، ولهذا فإنه يرفض الماركسية التي تقول بوجود طبقتين لا ثالث لهما[1].

ويرى "فرانك" Frank أن البرجوازية التابعة ليست برجوازية حقيقية " من حيث إن وجودها لا يؤدى إلى ثورة برجوازية على المستوى الاقتصادى، وثورة ديمقراطية على المستوى السياسى، مما يوحى بان الفئة الحاكمة من هذه الطبقة، ليست طبقة حاكمة، وإنما هى صفوة، ويتضح ذلك بجلاء من أسلوب ممارستها السياسية، فهى تستخدم تكنيكات متنوعة حسبما تمليه ظروف التبعية، وتتراوح هذه التكنيكات بين الأساليب القانونية والبرلمانية، وبين الانقلابات العسكرية وبين الدعوة إلى الحركة القومية، أو إحداث تحالف زائف مع العمال"[2].

إن أى ضرب من ضروب التفكير، ما هو إلا انعكاس بنائى معين، ويشير إلى ما يسود الواقع من تيارات أيديولوجية، وقد أشار "رايت ميلز" إلى ذلك مؤكدا أن النظم الأساسية في المجتمع ذات دور هام في خلق القلق، اللامبالاة، الإغتراب على المستوى الفردى[3]، أو خلق الإنسان السوى، المتعاون، المسئول، المندمج في الجماعة، أى المنتمى.

ومن ثم فإن الرؤية المستخلصة من النظريات الثلاث والتي ترى الباحثة أنها تتفق وخصوصية المجتمع المصرى هى كالتالي:

- **يتأثر الانتماء للوطن بطبيعة الظروف البنائية لهذا الوطن في مرحلة تاريخية بعينها.**
- **بعد حقبة السبعينيات، وانتهاج سياسة الانفتاح، قويت الرأسمالية، واستفحلت البرجوازية، وظهرت شرائح أخرى استطاعت من خلال ملكيتها لوسائل الإنتاج، السيطرة وفرض أيديولوجيتها من خلال وسائل الإعلام، ومحاولة تزييف وعي بقية**

١- أحمد زايد، البناء السياسى في الريف المصرى، مرجع سابق، ص ص٢٢٥ - ٢٢٦.

٢- المرجع السابق، ص ١٨٢.

٣- أحمد زايد، علم الاجتماع بين النظرية الكلاسيكية والنقدية، ط٢، مرجع سابق، ص ٢٠٣، ص ٢٥٦.

فئات الشعب، وبالتالي تزييف انتماءاتهم ليصبحوا في حالة رضا عما هو كائن، وتكيف مع الأوضاع السائدة، مما قد يؤدى إلى اغترابهم عن أنفسهم وبالتالي عن مجتمعهم.

- بقدر الوعي بمشكلات الوطن وبقضاياه، يكون الانتماء للوطن.
- التفاوت الشديد بين الفئات المبنى على غير القدرات، وإنما بفعل الاستغلال والسيطرة، له مخاطره في تفتيت بنية المجتمع وتدهوره، خاصة وأنه على أثر الانفتاح ظهرت بعض الفئات والشرائح الاجتماعية التي ما كان لها أن تظهر، وحدث بداخل هذه الشرائح حراك فيما بينها، بعضها تحرك لأعلى، والآخر تحرك لأدنى، وقد حدث تداخل بينهما، وإن كان من الصعب وصفها بأنها طبقة، إلا أنها استطاعت نتيجة لتزييف الوعي استقطاب الفئات الأخرى وإيهامها بارتباط المصالح المشتركة بينهم، مما يصعب الموقف ضد البرجوازية، وتلك الشرائح والفئات الجديدة، وليدة الانفتاح والتي تحمى نفسها تارة بالقوانين وأخرى بالوعي الزائف، حتى أصبحت المصالح بينهما متداخلة.
- نظرا لأن الاستغلال كامن في النظام الرأسمالى، فكلما تقدم المجتمع وأصبح التدرج الاجتماعى أكثر تشعبا، تعددت الفئات والشرائح الاجتماعية، وظهرت أشكال جديدة من الاستغلال النفسى، وسلب حرية الفكر والإرادة، بدلا من الاستغلال الاقتصادى، ومن هذه الأشكال (البيروقراطية – التكنوقراطية – البرجوازية الصغيرة).
- لم يعد الأساس الاقتصادى، هو الذى يحدد البناء الاجتماعى، وأصبحت التغيرات الاقتصادية تفسر في ضوء القوى السياسية والعسكرية، وتحولت المشكلات الاقتصادية إلى مشكلات ذات طابع سياسى، وربما طابع عسكرى ونفسى أيضا، واتخذ الاستغلال أشكالا أخرى متفقة مع مظاهر العصر الحالى.
- للإعلام دوره في تشكيل الوعي، وبالتالي الانتماء، وهو في ظل النظام الرأسمالى – خاصة في حال سيادة الديكتاتورية والتصدي للمعارضة – يبث ما يريده صناع السياسة في أذهان الأفراد، ويعتمد نسق القوة – بدرجة أو بأخرى – على أساليب غير معلنة أحيانا، مثل القهر السياسى، ويتحكم في الأفراد بطريقة خفية، ويحركهم حسب أهوائه من خلال الإعلام ونظم الإنتاج.

- وحدة المجتمع ضرورة، وتحقيق أهدافه واجب، لذا يجب أن تسمو فوق أهداف ومصالح الفرد، حرصا على تماسك المجتمع، وعملا على استقراره، وإن كان التغيير - الإيجابي وليس التمرد أو الثورة - مطلبا أساسيا وحتميا، فإنما هو واجب على كل فئات الشعب التي تحس بظلم واستغلال وسيطرة الطبقة المالكة والمسيطرة عليهم، والتي تحرمهم حقوقهم واشباعهم لحاجاتهم الضرورية.
- على المجتمع - لكي يحقق ترابطه وتماسكه - أن يستمد أساليب الضبط من خلال ثقافته وعقيدته وقيمه ومعاييره، ولا تتخذ الطبقة المسيطرة والمالكة من الإعلام وسيلة لتبث من خلاله قيمها ومعاييرها للمجتمع، حتى يحقق الضبط جدواه، ويلتزم به المواطنون عن حب وولاء، ويسود الأمن والاستقرار، ويتحقق النمو والتطور.
- ضرورة أن يجد الفرد ذاته في مجتمعه، ويسعى لتحقيقها، ولا يتنازل عن فرديته التي تؤكد هويته، وحين يوفر المجتمع لأفراده فرصا لإشباع حاجاتهم، فإن الأفراد بالتالي يسعون جاهدين لتحقيق حاجات المجتمع، وإنجاز أهدافه عن حب وولاء.
- على الفرد أن يقدم تنازلات، ويستجيب لأساليب الضبط الاجتماعى، بشرط أن يكون الهدف هو مصالح الأغلبية، وأن يتكيف مع الوضع القائم إن كان يسوده العدل، لأن هناك فرق بين المجتمع من حيث هو غالبية للشعب على تنوع فئاته، وبين صفوة أقلية مالكة ومسيطرة، والفرق بين كلا الطرفين هو الفرق بين الانتماء الحقيقى للمجتمع، والانتماء الزائف لقلة مسيطرة ومالكة (أي فئة بعينها).
- الانتماء الحقيقى، هو الانتماء للمجتمع الذى يمثل غالبية جماهير الشعب بكل فئاته، لأن الانتماء للصفوة المالكة المسيطرة إنما يعنى الاغتراب لكل من هو خارج هذه الأقلية، ولهذا الاغتراب عواقبه الوخيمة ومشكلاته التي تتسبب في تفكك بنية المجتمع، وتخلفه نتيجة لما يعترى أفراده من مشكلات اقتصادية واجتماعية ونفسية.
- الانتماء الحقيقى يتأكد، إذا تحقق وعي الأفراد بقضايا مجتمعهم الكبرى، ويصبح لديهم وعيا حقيقيا بما يحدث في البنية الاجتماعية من تغيرات، ويقوي لديهم إحساسا بالمسئولية الأخلاقية، والالتزام السياسى، والمشاركة فيه، وخلو المجتمع من السيطرة والاستغلال، حتى وإن كان هناك ملكية خاصة، لابد من وجود ملكية عامة للمؤسسات

الأساسية التي تمس حياة الغالبية من الأفراد، وأن يحرص النظام على إشباع الحاجات الأساسية لجميع أفراد المجتمع.

- **المنتمى الحقيقى** هو ذاك الذى يرفض استغلال الطبقة المسيطرة التي تزداد غنى على حساب غالبية فئات الشعب التي تزداد فقرا، ويطالب بتغير ما هو كائن - بالطرق الإيجابية البناءة - إلى ما يجب أن يكون، ولصالح الجميع، ليس رفضا للطبقية ولكن رفضا للتفاوت الشديد بينها، واتساع الهوة بين فئات الشعب، واستغلال الفئة الغنية المحدودة للفئات الفقيرة المتعددة من غالبية الشعب.

ومما سبق يمكن استخلاص أهم المظاهر الإيجابية للانتماء للوطن التي تتضح في توحد الفرد بوطنه، واندماجه فيه، والشعور بالاعتزاز والفخر به، ملتزما بقيمه ومعاييره وتقاليده، ويكون على وعي بمجريات الأمور فيه، في النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويكون على وعي بمشكلاته وقضاياه داخليا وخارجيا، ويسهم في تحقيق إنجازات وطنه، وتحقيق أهدافه، قدر إمكانياته، ويكون على ثقة في مقدرة وطنه على تجاوز سلبياته، وأن يسعى دائما للعمل في إطار الجماعة بإخلاص وحب، وإن دعته الضرورة للمفاضلة بين مصالحه ومصلحة الجماعة، فلتكن مصلحة الجماعة أولا، وبتحقيقها يحقق الفرد ذاته، ويشعر بالرضا والفخر، ويشعر بالاستقرار الانفعالى والوجدانى، محققا مكانة ذات تقدير اجتماعى، فالانتماء هو الطريق إلى الأمان وتقدير الذات، وتحقيق النمو والتقدم الاجتماعى.

وعلى النقيض من ذلك يترتب على ضعف الانتماء: سيادة القيم الفردية، والأنانية، والسلبية، وعدم الالتزام بالقيم والقوانين نتيجة لتضارب المعايير السائدة في المجتمع، وكثرة المشكلات والقضايا المجتمعية التي تؤدى إلى تفكك المجتمع، وعدم استقراره اقتصاديا وسياسيا، وتعرضه لأزمات مختلفة في نوعها ومداها، فتحول دون إشباع حاجات المواطنين الأساسية نتيجة لقلة الإنتاجية، والسعى وراء الكسب السريع حتى وإن كان بطرق ملتوية.

رابعا: أنمـــــاط الانتمـــــاء للوطـــــن:

تصنف الباحثة أنماط الانتماء للوطن كما يلى:

(١) انتماء حقيقى:

يكون فيه لدى الفرد وعي حقيقي لأبعاد الموقف، والظروف المحيطة بوطنـــه داخليـا وخارجيا، ويكون مدركا لمشكلات وقضايا وطنه، وقادرا على معرفة أســـبابها الحقيقيـة، وطبيعة هذه المشكلات، والأسباب الكامنة خلفـها، وموقفـه منـها، والاكـتراث بآرائـها ونتائجها، ويكون المنتمى هنا مع الأغلبية ويعمل لصالحها، ويؤمن بان مصلحـة الأغلبيـة والعمل من أجل الصالح العام وسلامة المجتمع ونموه وتطوره، هو الهدف الذى يجـب أن يسمو على الفردية والأنانية.

(٢) الانتماء الزائف:

هو ذلك الانتماء المبنى على وعي زائف، بفعل المؤسسات الرسمية وغـير الرسـمية، التي قد تشوه حقيقة الواقع في عقول المواطنين، وبالتالي قـــد تصبـح رؤيتـهم للأمـور

---

* تعددت محاولات تصنيف الانتماء التي قال بها الباحثون والمتخصصون كالتالي:

١ - تصنيف حسب الموضوع (الانتماء للإسلام - الأسرة - الوطن - والمستويين الآخرين متفرعـين عـن الأول) في: عبدالله مبروك النجار، **الانتماء في ظل التشريع الإسلامي**؛ القاهرة، الموسسة العربية الحديثة للنشـــر، ١٩٨٦، ص ٢٨.

٢- تصنيف نوعي (مادى يعتبر الفرد عضو في الجماعه، ظاهرى يعبر عن مشاعره لفظياً، إيثارى يعـــبر عـــن الموقـف الفعلى) في: اهامى محجوب، مرجع سابق، ص ص ٤٧ - ٥٠.

٣ - تصنيف حسب طبيعته (إما قبل عضوية الفرد في الجماعة - أو بعد عضويته فيها) في: سناء حسن مبروك، **الهويـــة والانتماء في المجتمع الصحراوي المصري**، ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٤٧.

٤ - تصنيف في ضوء السوية (سوى يتفق مع معايير الجماعة، وغير سوى يتخذ مواقف عدوانية معها)، وتصنيف في ضوء القوة (قوى يدفع بالجماعة للتقدم، ضعيف يتـسبب في تدهور الجماعة وتفككها) في: عبلة محمـود إبراهيم، مرجع سابق، ص ١١١.

٥ - تصنيف كيفى (شكلى بحكم العضوية تحت تأثير الجنسية واللغة، وموضوعي، حقيقى يدرك الفرد فيه حقائق الواقـع ويكون فيه مشاركاً، زائف حيث الرؤية غير الحقيقية للواقع) في: نجلاء عبد الحميد راتب، مرجع ســـابق، ص ص ١٤٥ - ١٥٣.

والمواقف غير حقيقية، وغير معبرة عن الواقع الفعلى، ومن ثم يصبح الوعي والإدراك لهذا الواقع، وعيا مشوها غير حقيقى، وبالتالي ينبثق عنه انتماء زائف ضعيف غير حقيقى، كما يعتبر انتماء الفرد لفئة غير فئته، أو طبقة غير طبقته انتماء زائفا.

(٣) الانتماء لفئة بعينها:

وهنا يعمل الفرد على مصالح الفئة التي ينتمى إليها دون سواها من الفئات داخل المجتمع الواحد، وبالرغم من أن وعيه بها وعي حقيقي وانتمائه لها انتماء حقيقي، إلا أنه قياسا على انتمائه للمجتمع ككل، فهو وعي غير حقيقى وانتماء غير حقيقى، لأنه يعمل وينتمى لجزء من الكل فقط، فلا يعى ولا يدرك، ولا يعمل إلا لصالح هذا الجزء، ويترتب على ذلك آثار وخيمة من تفتيت لبنية المجتمع، بل ووجود الصراع بين فئاته، يزداد حدة كلما ازدادت الهوة بين هذه الفئات، مؤديا لتدهور المجتمع وتفككه، حيث ستعمل كل فئة لصالحها هى فقط وأولا، على حساب غيرها من الفئات.

خامسا: التحليل الفلسفي لبعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم الانتماء:

إن الانتماء – شأنه شأن أى مفهوم ومبحث فى العلوم الاجتماعية – يرتبط بعدد من المفاهيم، ومن ثم لا يمكن فحصه وتحليله دون رصدها وتدارسها، فإنه – حسبما تعتقد الباحثة – من الضرورى تناول المفاهيم الأكثر ارتباطا وتداخلا وتفاعلا مع الانتماء، وهى: (الوعى، الهوية، الفردية، الحب، الوطنية، كمقومات وركائز للانتماء، والاغتراب كمقابل سلبي له) مدعمة ببعض الدراسات العالمية والمحلية، وذلك تمهيدا لما يلحق ذلك من محاولة رصد وتحليل بعض ملامح الانتماء في إطار النسق القيمى للمجتمع المصرى، وذلك على أثر انتهاج سياسة الانفتاح منذ منتصف السبعينيات.

(١) الوعى Consciousness:

ولما كان الوعى والانتماء يرتبطان مع بعضهما البعض بعلاقات متشابكة متفاعلة، فمن الضرورى تناول تعريف الوعى، فقد عرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الوعى بأنه "إدراك المرء لذاته، ولما يحيط به إدراكا مباشرا، وهو أساس كل معرفة، ويمكن

إرجاع مظاهر الشعور إلى (المعرفة، الوجدان، النزوع) وهذه المظاهر الثلاثة متصلة ببعضها البعض، وللشعور مراتب مختلفة، منها الشعور الظاهر، واللا شعور، ويتضمن الميول والرغبات المكبوته، وما قبل الشعور pre conscious وهو كل ما يكمن وراء الشعور مباشرة، وما يمكن للفرد استحضاره متى أراد، ويعتبر مرحلة متوسطة بين الشعور واللا شعور"[١].

ويوجد وعى ذاتى وآخر اجتماعى، ويرى "جورج هربرت ميد" George H. Mead أن "الوعى الذاتى يميز الإنسان بأن له ذاتا، وهو المخلوق القادر على أن يكون ذاتا وموضوعا فى وقت واحد، لأنه بإمكان الإنسان أن يمر بالخبرة، ويدرك ويعى هذه الخبرة، وتعد القدرة على نظرة الإنسان إلى ذاته سمة مميزة له، ويعتمد الوعى الذاتى على مقدرة الإنسان أن يكون نفس الاتجاه نحو ذاته، كما يأخذ به الآخرون نحوه"[٢].

وفى هذا بحثت إحدى الدراسات فى مدى ارتباط الوعى الذاتى الخاص، بمدى المعرفة الدقيقة للذات عن نفسها، مما أكد فرض الدراسة بأنه كلما كانت رغبة الأفراد فى معرفتهم لأنفسهم أكبر، كلما كان لديهم وعي ذاتي خاص وعام أكبر، وجاء ذلك متفقا مع "شيك" Cheek، "برجز" Briggs ١٩٨٢، اللذان وجدا أن ذوى الدرجات العليا فى الوعى الذاتى، حصلوا على درجات أعلى في مقياس سماتهم الشخصية المتعلقة بالهوية، أكثر من هؤلاء ذوى الدرجات المنخفضة فى الوعى الذاتى الخاص[٣].

أما الوعى الجماعى، أو الشعور الجمعى Collective Consciousness "فهو وعى الأفراد بالعلاقات الاجتماعية بينهم، وبتجاربهم المشتركة، وقد ينحو هذا الشعور نحو الاشتراك فى تحمل المسئولية والنهوض بمجتمعهم، كما يطلق على الشعور الجمعى أيضا الوعى الاجتماعى Social Consciousness"[٤].

١- أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٨١.

٢- إحسان محمد حفظى، الوعى والمشاركة ودورهما فى إنجاح التنمية الحضرية؛ ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢، ص١٤٣.

3- Franzoi, Stephen L., et al., " A Motivational Explanation for Existence of Private Self-Consciousness Differences", **Journal of Presonality**; 58, 4, Dec., Duack Univ. Press, 1990, PP. 641-657.

٤- أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٨١.

فالوعى الاجتماعى هو جملة الآراء والمفاهيم والتصورات النظرية السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية، الممثلة للجانب الروحى من حياة المجتمع للبناء الفوقى المرتكز على البناء التحتى المادى، ومن ثم فالوعى الاجتماعى هو البنية الفوقية الروحية للمجتمع[١].

ويرى ماركس أن الإنسان كائن اجتماعى، لا يوجد إلا فى مجتمع، يؤكد الحياة الاجتماعية، ولا تتحقق ماهية الإنسان إلا بالعمل الذى يكسبه حقيقته الواقعية، ولذلك كانت مطالب الإنسان وحاجاته أمرا أساسيا فى فكر ماركس جعلته ينتقد المجتمع الطبقى الذى لايضع حاجات الإنسان فى اعتباره[٢].

ويشير "كول" Cole إلى أن الطبقة لايمكن أن تعرف من زاوية وحدة الخبرة الاقتصادية وحدها "فالطبقة تكون طبقة بالمعنى الكامل والايجابى، **بقدر ما يسودها روح الولاء والانتماء**، ويرفض الرأى القائل بأن جماعة ما تكون طبقة ليس فقط بوحدة المصلحة، وإنما بقدر ما يعى أفرادها هذه الوحدة فى المصلحة، وبقدر ما يدركون أهمية التضامن من أجل تحقيق الوعى الطبقى، ويرى أن الوعى الطبقى ليس ضروريا لتعريف الطبقة، وإنما المهم هو الشعور بالانتماء والولاء مع أقرانهم، وأن يسود الجماعة روح ومشاعر الولاء الطبقى، فالوعى الطبقى يتضمن تحول الولاء الطبقى إلى مفهوم عقلانى للتضامن، وإلى أداة هامة لتقوية الروابط بين أعضاء الطبقة الواحدة، ومن المهم أن يتوفر مثل هذا الوعى على الأقل لدى النخبة التى تتولى قيادة الطبقة"[٣].

فالوعى الطبقى هو: العملية التى يصبح من خلالها أعضاء طبقة معينة فى حالة وعى بكيانهم الجمعى، وهكذا ارتبط هذا المفهوم بفكرة الصراع الطبقى، كما يتضمن الإرادة الواعية والإدراك للأعداء الحقيقيين للطبقة، وحالة البؤس التى يعيشون فيها، مقابل الظروف التى يعيشها أعضاء الطبقة الأخرى المسيطرة، والشعور بالتضامن الطبقى مع

١- محمد فرج، **الدولة وتشكيل الوعى الاجتماعى**؛ دراسة فى الدور الأيديولوجى للدولة، قضايا فكرية، الكتاب الأول، يوليو ١٩٨٥، ص ١٤٥.

٢- عبد الباسط عبد المعطى، اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع، **عالم المعرفة**؛ ع (٤٤)، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، أغسطس ١٩٨١، ص ص ١٠٠-١٠٣.

٣- إبراهيم حسن العيسوى، **نحو خريطة طبقية لمصر، الإشكالات النظرية والاقتراب المنهجى من الواقع الطبقى المصرى**؛ القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٩، ص ٤٣.

الآخرين بنفس الطبقة، والوعى بمصلحة الطبقة وأهدافها المشتركة، وتوحيد الجهود فى شكل تنظيمات معبرة عن ذلك الوضع، **وإذا توحد الفرد مع طبقة اجتماعية لاينتمى اليها، وإذا انتصر لمصالح لاتتفق مع المصلحه الموضوعية الخاصة لطبقته، فإن وعيه يكون وعيا طبقيا زائفا False -Class Consciousness**[1].

ولما كانت البنية الطبقية فى أى مجتمع تتضمن فى محتواها العام العلاقات بين الناس، فهى بمثابة المحاور فى بناء وتشكيل وعيهم، وتسهم فى ظهوره واستمراره وتطوره أو تدهوره، ولقد أثبتت نتائج دراستين* أن البنية الطبقية يمكن أن تحدد الوعى، وبرغم الانفصال بينهما، إلا أن كلا منهما يؤثر فى الآخر، ويبرز خصائصه.

فى حين أن "دوركايم" أشهر علماء الوظيفية، نعت الوعى بالضمير الجمعى، ويرى أن المجتمع هو مصدر العقلانية والوعى، وأن الضمير الجمعى هو الذى يحدد القواعد الحاكمة للسلوك من الخارج، بالإضافة إلى تشكيل غايات السلوك التى تشكل جوهر الشخصية الفردية[2] "ويعد الوعى هو أساس الحياة الاجتماعية فى نظر الوظيفية ومن ثم فإن أى تغير فى هذه الحياة، يأتى نتيجة التغير فى وعى الناس ومفاهيمهم وتصوراتهم وقواعدهم الأخلاقية، وليس عن طريق العمل، ومن هنا يتضح البعد الأيديولوجى لهذه النظرية حيث إن إلغاء الإرادة الواعية، يعد سلاحا روحيا من أجل تبرير السيطرة، والاستغلال من قبل الطبقات البرجوازية"[3].

والوعى الاجتماعى هو: وعى يقظة ودراية، وعى بصيرة وإحساس، وعى يقظة الشخصية الحرة، وحساسية الفرد المقدر لذات الآخر تقديره لذاته، وعى التعاطف مع مشاعر الآخر، وعى بـ (المكانة) والدور الاجتماعى[4].

١- محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ص ٦١، ٦٢.

* - عبد الباسط عبد المعطى، الوعى التنموى العربى، ممارسة بحثية، مرجع سابق.

- عبد الباسط عبد المعطى، **الصراع الطبقى فى القرية المصرية**، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٧.

٢- على ليلة، مرجع سابق، ص ص ٥١٤ - ٥١٥.

٣- على أحمد طوسة، **وسائل الاتصال الجمعى والوعى السياسي**؛ ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٦، ص٢٧.

٤- سيد عثمان أحمد، **المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة**؛ القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢، ص ١٧، ص٢٠.

وهكذا يتنوع الوعى، فهناك: الوعى الذاتى، والوعى الاجتماعى، والوعى الحقيقى والوعى الزائف، والوعى الطبقى، ومما يشير إلى تنوع مجالات الوعى فهناك الوعى السياسى، والوعى الثقافى، الوعى الدينى..... إلخ.

ولعل أشد أنواع الوعى ارتباطا بالانتماء الوعى السياسى، ويقصد به "معرفة المواطن لحقوقه وواجباته السياسية، وما يجرى حوله من أحداث ووقائع، وكذلك قدرة المواطن على التصور الكلى للواقع المحيط به، كحقيقة كلية ومرتبطة، وليس كوقائع منفصلة وأحداث متناثرة لا يجمعها رابط، بالإضافة إلى قدرة المواطن على تجاوز خبرات الجماعة الصغيرة التى ينتمى إليها، ليعانق خبرات ومشكلات المجتمع الكلية"(١).

ويرى "إريك فروم" أن التصويت فى الانتخابات السياسية، لايمكن أن يكون ذا معنى إلا إذا استطاع الفرد أن يكون رأيا عن اقتناع حقيقى، وهذا لايتم إلا إذا توافر شرطان: الأول وجود معلومات كافية، والآخر أن يدرك أن لرأيه قيمة وأثرا"(٢).

مما سبق يتضح أن الوعى كعامل ذاتى، هو نتاج البنية الاجتماعية كعامل موضوعى، وتتأثر هذه البنية بالأوضاع السياسية والاقتصادية، وقد كان لسياسة الانفتاح أثرها – كما يرى البعض – فى توسيع الهوة بين الفئات، بل سيادة الفئة المالكة والمسيطرة اجتماعيا واقتصاديا وأيديولوجيا، تلك التى قد تعمل على تسطيح الوعى وتزييفه لدى الجماهير، بما يخدم مصالحها، وربما يأتى ذلك على حساب أغلبية جماهير الشعب، وبمعنى أدق بما يخدم مصالح الفئة البرجوازية المحلية المالكة والمحدودة.

ولما كان الوعى أعم وأشمل من الانتماء الذى يمثل بالتالى أحد وأهم قضايا الوعى، فإنه نتيجة لتزييف الوعى، قد يحدث خللا فى انتماء المواطنين لوطنهم.

(٢) الهوية Identity:

انطلاقا من أن الشعور بالهوية ينشأ من خلال الانتماء، وأن الانتماء، يدعم الهوية ويقويها، فمن الضرورى الإشارة إلى مدى العلاقة المتبادلة بينهما، استنادا لنتائج بعض

١- حسن طنطاوى، **الوعى السياسي لدى طلاب المرحلة الثانوية فى مصر**؛ ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٢، ص ٥٣.

٢- إريك فروم، الإنسان بين المظهر والجوهر، مرجع سابق، ص ص ١٩٨ - ١٩٩.

الدراسات، فالهوية باعتبارها وليدة الانتماء، هى الوجه الإيجابى الذى يؤكد وجوده، والانتماء يؤدى إلى الهوية، مما يحتم ضرورة الوعى بالهوية، على أنها سبب للانتماء ونتيجة له فى آن واحد.

وحيث إن "الارتباط الانتمائى، يثبت الهوية ويعمق الشعور بها، فإن غرس عادة الإعلان عن الهوية، هى نوع من التأكيد والاعتزاز، وتعويد تربوى يخدم عملية التعبئة الولائية"[1].

وقبل أن تتطرق الدراسة إلى العلاقة التفاعلية بين الهوية والانتماء، لابد بداية من تعريف الهوية، ورغم تعدد المصادر التى تناولتها بالتعريف إلا أنها اتفقت فى معظمها على أنها تشير إلى التساوى، المشابهة، التماثل، وأنها مشتقة من ال (هو)، وأنها الشئ وعينه، ووحدته وتشخيصه وخصوصيته، ووجوده المتفرد، حيث تميز الفرد عن غيره من خلال (الاسم، الجنسية، الحالة العائلية....) وبموجب القوانين، يثبت الشخص هويته، من خلال بطاقة الهوية Identity Card، كما تشير الهوية إلى أن الشئ أو الشخص هو نفسه، حيث تشير إلى حقيقة الشخص المتضمنة صفاته الجوهرية، والتى تميزه عن غيره، وقد شبهها البعض بالبصمة[2].

وإن كان "أرسطو" قد وضع تصورا عن الهوية صيغته (أ) هى (أ)، فإن "هيجل" قال بإمكانية قبول الشئ ونقيضه فى نفس الوقت وعلى نفس الحالة، وبذلك أصبح هناك تصور

١- على حسن القريشى، دراسة تحليلية لمقومات التربية السياسية فى ضوء القرآن والسنة؛ دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٦، ص ١٨٥.

2- Blanshard, Brand, "Identity" In Encycolopedia Americana; Meart India, Deluxe Library, Edition, Vol.14, 1990, P.743.

وانظر:

- مراد وهبة، المعجم الفلسفى؛ ط٢، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٧١، ص ٢٤٧.
- عبد المنعم الحفنى، المعجم الفلسفى؛ ط ١، القاهرة، الدار الشرقية، ١٩٩٠، ص ٣٦٩.
- أحمد محمد خليفة وآخرون، الهوية والتراث؛ ط١، القاهرة، دار الكلمة للنشر، ١٩٨٤، ص ٤٢، نقلا عن مجمع اللغة العربية.

- Webester, S., Op. Cit., P.721.
- Howkins, Joyce M. & Allen, Rubert, Op. Cit., P. 707.

آخر للهوية لا يعتمد على اتساقها ووحدتها بقدر ما يقوم على مقارنتها بالآخر كذات و كهوية. وأصبح وجود الآخر ضرورة لمعرفة الذات والحكم على هويتها، وأصبحت الهوية لا تتحدد بمكوناتها بل يضاف إليها علاقتها بالآخر مما يشير إلى أهمية الآخر بما له من قيمة وفعل فى تكوين الهوية. ولما كانت الهوية نبت ظروف مجتمعية محددة، فهى ليست تابعا سلبيا للمجتمع وظروفه، ولكنها فى حد ذاتها أنشط وأهم عناصر بناء وتشكيل المجتمع والتأثير فى توجهاته. كما تتجسد أزمة الهوية عندما يشعر مجتمع ما، بأن إطاره الثقافى لايشكل له معينا يمكنه من تحقيق أهدافه، ويمثل سياجا حاميا وموجها لحركته الواقعية وتطلعاته المستقبلية، ومن ثم تكون عوامل الإحباط الثقافية أكثر من عوامل الإنجاز، الأمر الذى ينعكس بالسلب على الإحساس الفردى والجماعى بالهوية الثقافية للمجتمع، مما يؤكد على ضرورة اهتمام المجتمع بتلبية احتياجاته، ويجعلها منطلقا يسعى به ومعه لعالم يتسع من حوله ودائم التغير، لأن أزمة الهوية تنتج من كون الثقافة عاجزة إلا من إعادة إنتاج ذاتها، وقد يرجع ذلك إلى العوامل المجتمعية (السياسية، والاقتصادية، والتعليمية)، وعوامل ذاتية، وهى عوامل متشابكة متفاعلة معا فى الواقع[1].

وهكذا فإن الهوية "تشير إلى التشابه العام لخصائص ومميزات جوهرية، حتى وإن كانت هناك بعض الفروق الظاهرية السطحية"[2] فهى تشير إلى "المشابهة والمماثلة فى كل شئ جوهرى، وعليه فإن هوية الفرد، تعنى أن يكون له ما يميزه عن غيره، ولديه وعى بماهيته، وبالآخرين حوله، كما تشير إلى الانتماء لبلد بعينه، ووجود رمز يجمع عليه أفراد الأمة"[3].

وتعتبر الهوية من أكثر الحاجات الإنسانية الشائعة فى الجنس البشرى، فهى بمثابة حاجة ضرورية وهدف يتحتم الاقتناع به والسعى إليه، وهى واجب من الضرورى الوفاء

١- أحلام محمد عبدالعظيم، "أزمة الهوية فى الخطاب التربوي الرسمى المعاصر فى مصر، دراسة تحليليه نقدية"، كلية التربية، جامعة الأزهر، مجلة التربية للبحوث التربوية والنفسية والاجتماعية؛ ع٥٢، نوفمبر ١٩٩٥، ص ص ١٨٠ - ١٩٠.

2- English, H. B. & English, A. C., Op. Cit., P.249.

٣- عصام أحمد حسين، إدراك الهوية القومية لدى الطفل المصرى؛ ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩١، ص١٣.

به، ولقد وردت الهوية ضمن قائمة أنطونى جيدنز Anthony Giddens بأنها مطلب أساسى لكل البشر، ويعتبر تحديدها واجبا ضروريا وحتميا، وهى فى الوقت نفسه مسئولية هامة، تقع جزئيا على عاتق المسئولين، الذين بدورهم عليهم مهمة ضبطها وتوجيهها. على اعتبار أن شكل ومضمون الهوية من أهم الواجبات التى لايمكن تجاهلها أو التخلى عنها[1].

وتذهب بعض التعريفات إلى أن الهوية الاجتماعية هى "تلك السمات الخاصة بمفهوم الذات الفردية فى ضوء أسس ومرتكزات لجماعتهم الاجتماعية، وعضويتهم الطبقية معا، ومع ارتباطاتهم العاطفية، والتقيمية وغيرها من الارتباطات السلوكية، التى تربطهم بهذه الجماعة مؤكدة انتماءاتهم إليها"[2].

وهكذا تتضح العلاقة التفاعلية التبادلية بين الانتماء والهوية، فكلاهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به، وحيث إن الانتماء حاجة ضرورية وأساسية للفرد، تحركه نحوها ميول ودوافع قوية، فغالبا ما يكون انتماء الفرد لمن يحقق له إشباع هذه الحاجات سواء أكان فردا أم جماعة أم مجتمعا.

وحينما يتدارس الفرد معنى انتمائه، يستطيع أن يعرف من هو؟ ولماذا هو موجود هنا؟ ولأى هدف يسعى؟ فمع حاجة الإنسان للانتماء، يتولد مفهوم الهوية، الذى يظهر فى أشكال متعددة ومختلفة: فأحيانا يكون الانتماء إلى جنسية، أو قومية، أو دين، أو وطن، فالهوية دائما منطلق لأفعال الإنسان، وهدف لها، ومبرر لوجوده الجماعى، وعندما تتهدد الهوية، يتهدد معها كل فرد ينتمى إليها، وبالتالى على الفرد أن يدافع عنها بكل الوسائل، وعندما يعى الإنسان عضويته فى مجتمع معين، ويدرك أن هويته تقترن بهوية هذا المجتمع، يدفعه ذلك إلى التمسك بمجتمعه، لأن العضوية فيه تحقق للفرد حاجاته الأساسية، مما يدفع الإنسان إلى إضافة قيمة عليا لمجتمعه، ورفعة فوق المجتمعات الأخرى[3].

1- Bauman, Zygmunt, "Soil, Blood, Identity", **Psychological Review**, Vol. 40, No.4, Nov. 1992, PP. 675 - 698.

2- Feather, N. T., "Values, National Identification and Favouritism Towards the In-Group", **British Journal of Social Psychology**, 33, 1994, P. 467.

٣- عصام حسين أحمد، إدراك الهوية القومية لدى الطفل المصرى، مرجع سابق، ص ص ٢٥-٢٦.

ومن بين الذين اهتموا بالبحث فى الهوية "وليم بلوم" William Bloom الذى لجأ إلى مدخل نفسى، عرفه بنظرية التوحد Identification، فقد لاحظ أن البشر يشتركون دائما فى غرض أساسي، يحثهم باستمرار على حمايتهم لهويتهم، وأنهم من خلال توحدهم، يرتبطون معا فى عدد من السمات النفسية المتشابهة، ليحافظو على هويتهم، ويعملوا على تقويتها، بل والدفاع عنها، مشيرا إلى أن فشلهم فى تحقيق ذلك، له أضراره البالغة على الأفراد، والمجتمع.

وقد حدد "بلوم" ديناميكية الهوية القومية من خلال أسلوب التوحد الاجتماعى Social Identification الذى يشير إلى التصنيف الذاتى كتفسير وتوضيح لكيفية تحول الأفراد داخل الجماعات، ويرى أنه من خلال عملية التصنيف تم التأكيد على المتشابهات والاختلافات بين الذات والآخرين داخل الجماعة وفى الجماعات الأخرى الخارجية. ينتج عن ذلك إدراكا ذاتيا، وتعريفا ذاتيا، مما يساعد على عملية التمثيل الفردى فى تحديد الخصائص المميزة للجماعة أو نمطية الجماعة[1].

ولقد حدد "بريكول" Breakwell كل من البطالة Closs Employmenyt والصراعات الثقافية Cultural Conflict كمؤثرات على تشكيل الهوية، وأشار إلى أنه حين يواجه الفرد تهديدا بسبب هويته، فإن عليه أن يعدل الأسلوب الذى يشعر به نحو تلك الهوية، لأن توحد الفرد مع الجماعة أساسي، ويؤثر على تقدير الذات للفرد المرتبط بالجماعة، فقد يصبح مفهومه عن ذاته سلبيا. وطبقا لنظرية الهوية الاجتماعية يرتبط استقرار الهوية بمدى توحد أفراد الجماعة، وأنه على الفرد الذى ينتمى إلى جماعة ذات توحد منخفض أن يتجنب مواجهة مواقف أو تجارب تتسم بتقدير ذات منخفض، لأن الفرد الذى لديه تقدير ذات منخفض – وكانت الجماعة أقل توحدا – فإنه قد يضطر أحيانا إلى الانسحاب من الجماعة، وتعتبر الحاجة لشعور الفرد بالتقدير الذاتى دافعا أساسيا وإنسانيا، فيمكن للفرد

1- Neumann, Ivern B., "Identity and Security". **Journal of Peace Research**; Vol. 29 No. 2, 1992, PP. 221-226.

أن يعيش ولديه إحساس بتقدير ذات منخفض، ولكنه لايستطيع أن يعيش مع جماعة ذات توحد منخفض[1].

وقد ربطت إحدى الدراسات بين الهُوية ومفهوم الذات ومدى ارتباط الفرد بجماعته وانتمائه لها، وكانت عينة الدراسة تتكون من ٦٥ طالبا وطالبة بالسنة الأولى الجامعية، من أصل وخلفية ثقافية أسبانية وإن تنوعت جنسياتهم، وتراوحت أعمارهم بين ١٧-١٩سنة، بمتوسط ١٨ سنة. ولكى يتم تقييم هُوية الطلاب كان عليهم أن يحددوا تعريفاً لأنفسهم، وعلى الطالب أن يحدد الهُوية التى يعتبرها هامة من خلال (تعليمات تتضمن العمر، النوع Gender، علاقته بالآخرين، جنسيته أو عرقيته) حتى يتم إدراك المعنى الذاتى الذى يربط الطالب بهُويته، واستخدمت الدراسة مقياسين: الأول يحدد فيه الطالب أهمية الهُوية التى قال بها، والآخر يقيس تقدير الذات الجماعى، الذى جاء مشيراً إلى مدى اندماج الفرد فى الجماعة -وتعرف الدراسة تقدير الذات، فى مصطلح جماعى مشيرة إلى تقييم الفرد كعضو فى جماعة عرقية- إلى جانب وجود مقياس ليقيس مدى الإدراك الحسى (بالتهديد)، وتدرج إلى سبعة مستويات، وتضمن عدة فقرات أشارت جميعاً إلى تهديد الطالب لأنه أسبانى.

- وأما عن الارتباط العرقى فكان للمقابلات الشخصية دور هام فيها ودارت الأسئلة حول الخلفية الثقافية ومدى مشاركتهم فى الأنشطة الجامعية، والانضمام إلى أصدقاء جدد.

- وأسفرت النتائج عن:

١- عدم وجود تغيرات ذات دلالة فى عدد من الهُويات التى ذكرتها العينة فى الأهمية التى قالوا بها عن هُويتهم الأسبانية أو مستوى تقدير الذات المرتبط بالهُوية العرقية.

٢- تغير الإدراك الحسى لدى الطلاب بتهديد هُويتهم الأسبانية خلال السنة الدراسية. مما يشير إلى قدرتهم على التكيف والتفاعل مع البيئة الجديدة نتيجة وجود ميول تلقائية لديهم، والارتباط الجماعى داخل الجماعة[2].

1- Ethier, Kathleen A. & Deaux, Kag, "Negotiating Social Identity when Context Change, Maintaining Identification and Responding to Threat", **Journal of Personality and Psychology;** Vol. 67, No., 2, August 1994, P.245.

2- Ibid., PP. 243 - 249.

يؤكد هذا على أن الارتباط بالجماعة، والتفاعل معها، يرجع إلى مدى القدرة على التكيف مع الواقع، دون إغفال رغبات الأفراد وميولهم التلقائية فى هذا التكيف.

إن توحد الإنسان فى الغالب يكون مع موطنه الأصلى، مهما عاش فى بلد آخر أكثر رخاء ورفاهية من وطنه.

وقد أشارت إحدى الدراسات إلى وجود علاقة إيجابية بين التوحد الوطنى National Identification، وبين التحيز للجماعة الداخلية، وقامت على فرض مؤداه:

أن العلاقات الإيجابية بين المحاباة للجماعة، والتوحد مع الوطن، أقوى بين الذين لديهم قيم الجماعية، وأكثر قوة من هؤلاء الذين تقل أهمية القيم الجماعية لديهم، مما يشير إلى أثر وأهمية الجماعية فى الانتماء.

وبلغت عينة الدراسة ٢١٣ من طلاب جامعة اديليد Adelaid بجنوب أستراليا (منهم ٦٥ فتى، ١٤٨ فتاة) ومن خلال تطبيق استفتاءين الأول بعنوان "الانكماش الثقافى، والآخر بعنوان مقياس القيم • وجاءت العناصر فى كل منهما مرتبطة بالتوحد مع استراليا، وموضحة أن الانكماش الثقافى يتحقق عندما يحيد الأفراد عن ثقافتهم، ويتضمن مقياس الانكماش الثقافى درجة من التقليل لمحاباة الجماعة الداخلية عن الجماعة الخارجية، أما عن مقياس القيم فقد تضمن ثلاثين قيمة غائية، وست وعشرين قيمة وسيلية، وكانت كل قيمة مصحوبة بفقرة وصفية قصيرة، وأما عن التوحد مع أستراليا فقد تحقق من خلال إجابة العينة على السؤالين التاليين:

١- بوجه عام ماذا تعنى أستراليا بالنسبة لك، بوصفك أستراليا؟ وتدرجت الإجابة فى خمسة مستويات يختار من بينها المستوى الذى يناسبه.

٢- مامدى فخرك بأنك أحد أفراد المجتمع الأسترالى؟ وأيضا قد تدرجت الإجابة فى خمسة مستويات يختار من بينها.

وأسفرت الدراسة عن التالى:

- المحاباة للجماعة الداخلية ذات ارتباط إيجابى مع التوحد الوطنى، وجاء هذا الارتباط أكثر قوة لدى الأفراد الذين وافقوا على القيم التى تهتم بالانسجام، والأمن، والتوجيه

الذاتى، والخيرية والشمولية، وكانت الارتباطات كلها دالة، واعتبرت كل من الخيرية، والشمولية من القيم الجماعية Collectcvist Values Type واعتبر الأمن متداخلا فى الاهتمامات المختلفة، أى أن كلا من القيم الجماعية والفردية ذات تأثير فى العلاقة بين المحاباة، والتوحد مع الجماعة، والانتماء للوطن[1].

ويبدأ الفرد فى إدراك هويته فى سن مبكرة، فقد أثبتت إحدى الدراسات أن "السن الطبيعى لإدراك الطفل المصرى لهويته القومية تبدأ ببلوغه من ٦-٧ سنوات، ويزداد إدراكه بتقدم عمره، ويؤثر فى مستوى هذا الإدراك مستوى تعليم الوالدين، والمستوى الاقتصادى الاجتماعى للأسرة، وبالتالى فإنه يمكن إكساب الفرد الاتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن فى سن مبكرة"[2]. وقد حددت دراسة أخرى، "أن الطفل يمكنه اكتساب الاتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن منذ سن السابعة، وذلك من خلال نشاطه مع الجماعات المختلفة، والزيارات الميدانية للمشروعات القومية، إلى جانب دور بعض المقررات الدراسية فى تدعيم هذا الولاء مثل القصة، والأناشيد"[3].

وللهوية أهميتها، فمن خلالها يحقق الفرد ذاته فى إطار الجماعة، وقد أشار "إريك فروم" إلى حاجة الفرد الشديدة إلى تكوين فكرة عن ذاته؛ وأن يشعر بذاتيته، باعتباره يؤثر فى الحياة المحيطة به، ويتأثر بها، وأشار فروم إلى أن الإنسان البدائى كان لايستطيع أن يتصور نفسه ذو وجود مستقل عن الجماعة، التى تشكل قبيلته، وكذلك فى عصر الإقطاع، فالسيد يسود، والمزارع يزرع بحكم الطبيعة، وكان نظاما ثابتا إلى أن سقط الإقطاع وبدأ الإنسان يتساءل: من أنا ؟ وحصر "ديكارت" مشكلة الذاتية فى عملية التفكير، ومع تطور الثقافة الغربية، التى اتجهت إلى خلق أساس للشعور بالفردية، اخترع الإنسان نظاما يحل محل ذاتيته فأوجد (المذهب، الطبقة، الأمة، المهنة...)، ويخلق لنفسه تعبيرات تشعره بذاته وهويته، كأن يقول: أنا أمريكى أو أنا بروتستانتى، أو أنا من رجال الأعمال، وكلها صفات تسهم فى تعريف الفرد بنفسه، وإن كانت صفات تتعرض للزوال، ليحل محلها

1- Feather, N.T., Op. Cit., PP. 467 - 476.

٢- عصام حسين أحمد، مرجع سابق.

٣- عبد العزيز عبد المنعم عبده، مرجع سابق.

التجانس مع المجموع، فالحاجة إلى الإحساس بالهوية، تنبثق من ظروف الوجود البشرى نفسه، وهى مصدر أقوى وأعمق مما يبذله الإنسان من كفاح فى حياته، ولايمكن أن يكون الإنسان سليم العقل إلا إذا أحس بذاتيته[1].

ولذا فإن الانتماء القوى "يعضد قضية الهوية، وإلى أى الجماعات يشعر الفرد بالانتماء والارتباط، والولاء الذى يوطد العلاقة بين الأفراد وجماعاتهم، فقد يكون مستوى الولاء للعائلة، أو القبيلة منخفضا أو مرتفعا، كما يختلف الولاء فى نوعه ومداه طبقا (للطبقة، والفئة، السلالة، العقيدة، المهنة)"[2].

وقد اثبتت إحدى الدراسات التى استهدفت البحث فى أهمية التجانس للجماعة الداخلية، فى مدى قوة الهوية وخاصة الهوية السياسية، مؤكدة على الولاء (من خلال الحزب الذى تنتمى إليه فى ضوء كل من التوحد، القوة، فتناولت الهوية من خلال الشخصية، الانتماء، الولاء الحزبى)، وكانت عينة الدراسة ٦٤ طالبا من جامعة لندن نصفهم أعضاء رسميين فى حزب العمل، ونصفهم الآخر مساندين له، وبحثت الدراسة فى مدى إدراكهم الحسى نحو أنصار حزبهم، وذلك بعد سماعهم لكلمة قالتها رئيسة حزب المحافظين "مارجريت تاتشر"، هاجمت فيها حزب العمل، وحددت لذلك أربع قضايا تميز السياسة الحقيقية لكل حزب، اشتقت منها أربع قيم هى المساواة، الجماعية، الفردية، الوطنية، كذلك حددت ثمان سمات للشخصية تتراوح بين الإيجاب والسلب، أربع منها مرتبط بالقيم – على نحو ما ذهبت الدراسة – هى الأنانية، الولاء، المساندة، العدوانية، والأربع الباقية غير مرتبطة بالقيم هى كسول، مسرور، ودود، غبى، وتم تحديد هذه السمات من خلال دراسة استطلاعية قوام عينتها ٢٠ فردا من أنصار حزب العمل، لمعرفة مدى اتفاق هذه السمات فى تصنيف الأفراد بوصف كل منهم مؤيد ومنتمى لأى حزب من الحزبين، وقام أفراد العينة بتقييم إدراكهم الحسى للتجانس بين أنصار حزب المحافظين على القضايا الأربع، والقيم الأربع، وسمات الشخصية الثمان، وتمت نفس الخطوات بالنسبة لأعضاء حزب

١- إريك فروم، المجتمع السليم، تعريب محمود محمود، مرجع سابق، ص ٤٢، ص ص٤٤ – ٤٥.

٢- نادية حسن سالم، "التنشئة السياسية للطفل المصرى، واقع تحليل مضمون الكتب الدراسية"، المجلة الاجتماعية القومية؛ ع١، ٢، ٣، مجلد ١٩، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٢، ص ٢١.

العمل، وأسفرت النتائج عن: وجود علاقة إيجابية بين تجانس الجماعة الداخلية، وبين قوة الهوية السياسية، والانتماء الحزبى، وأنه كلما زادت درجة الارتباط، كلما زاد التجانس، وزاد الانتماء، وقويت الهوية[1].

وفى هذا تأكيد على الدور الخطير الذى تلعبه الهوية فى تحديد مدى الانتماء، الذى يتضح فى مدى درجة الارتباط والمساندة لما ينتمى إليه الفرد.

ولقد ميز "روى" Roy بين نوعين من أزمة الهوية، يتمثل الأول فى عجز الهوية، وأرجعه إلى أزمة الدافعية Motivation لدى الفرد، ويتعلق بالتغيرات الداخلية، حيث تفتقد خبرة الفرد الترشيد وتوجيه الالتزامات، ولكنه يبذل قصارى جهده مناضلا من أجل تحقيق أهدافه الشخصية وقيمه، ويتمثل الآخر فى صراع أو تناقض الهوية، وهو وليد للتغيرات الموقفية Situational، ويتعلق بأزمة الشرعية الصحيحة، وفيها تتعارض سلوكيات الفرد نتيجة تعارض التزاماته، والتى قد تؤدى إلى تضليل أحد الالتزامات فى بعض المواقف. واعتبرت "ميرسيا" Mercia أن من أسباب أزمة الهوية لدى المراهقين خاصة، التناقص الوجدانى، والذى يبدأ منذ الصغر فى علاقتهم بوالديهم، وقد اتفق معها "إريكسون" Erikson فى أن التسلط والتناقص الوجدانى بين الآباء والأبناء وراء أزمة الهوية لدى الأبناء[2].

وهكذا تنشأ الهوية من الانتماء، وتعود إليه لتؤكد وجوده، وتعمل على تقويته من خلال مشاعر الولاء والإخلاص له، "كما أن البحث فى الهوية، ليس بمثابة شئ كنا نملكه، ثم أضعناه، أو نفتقده بالفعل، بل هو البحث فى وحدة الانتماء، وليس بمعنى التجانس فقط، بل الوحدة فى المتنوع، وكل مايؤدى إلى التقارب أو الالتقاء عند نقطة مشتركة"[3] مما يؤكد أن التماسك الاجتماعى، يحقق الولاء، ويقوى الانتماء الذى يتضح فى مدى اعتزاز الفرد بهويته والفخر بها أينما كان، **فالهوية دلالة ووليدة الانتماء.**

1- Kelly, Caroline, "Political Identity and Preceived Intra-Group Homogeneity" **British Journal of Social Psychology**; 28, 1992, PP. 239 - 250.

2- Baumeister, Roy F., et. al.. "Two Kinds of Identity Crisis", **Jornal of Personality;** Dulke University Press, 53.3. Sept., 1985, PP. 407 - 420.

٣- أحمد محمد خليفة، الهوية والتراث، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٣) الفردية Individuality:

الانتماء لا يمنع التفرد*، بل يعمل على تحقيقه وتدعيمه من خلال جماعة الانتماء، ولكنه يرفض الفردية Individuality، حيث (السلبية، اللامبالاة، الأنانية) باعتبارها أهم مسببات إهدار إمكانات المجتمع، وسببا فى تفككه، فهناك ارتباط وثيق بين الانتماء والتفرد باعتباره أحد جوانب الانتماء الإيجابية، أما الفردية فإنها فى الغالب تولد مشاعر لا انتمائية، وإذا مالت إلى درجة أقصى من التطرف، فإنها تؤدى إلى صورة بالغة من الاضطراب النفسى، ويرى "هاللر" Hallar أن اللا منتمى هو شخص موزع النفس، ينشد التوحد النفسى، وهو أنانى ويفكر فى نفسه فقط[١].

فى حين يشير "أدلر" Adler إلى تفرد الشخصية، ويرى أن كل شخص صياغة فريدة من الدوافع والسمات والاهتمامات، والقيم، واعتبر أن كل فعل يصدر عن الشخص يحمل طابع أسلوبه الخاص، والمتميز فى الحياة، وأن أسلوب الحياة هو مبدأ النظام الذى تمارس بمقتضاه شخصية الفرد وظائفها، إنه الكل الذى يصدر الأمر للأجزاء، وأن النقائص النوعية التى يعانيها الشخص سواء كانت متوهمة أم حقيقية، هى التى تحدد أسلوب الحياة[٢].

إن الإنسان لايستطيع أن يحيا إلا فىمجتمع، "وهو يعرف أن أصداء الجماعة لابد وأن تخترق ماهية وجوده، بل وتنفذ إلى أعمق أعماقه، ولكنه فى نفس الوقت يشعر بوجوده

---

* التفرد: هو كل ما يفرق بين الناس، ويميز بعضهم عن بعض، وهو اتجاه يعرض من خلاله الفرد آرائه وسلوكه، مؤكدا على ذاتيته، إما أنانية أو طموح، وهو الاتجاه الذى يرى فى الفرد أساس القيم، وترجع الظواهر الاجتماعية والتاريخية إلى إرادة الفرد، وتطلق كلمة التفرد على أى كائن معقد التكوين، أو مظاهر سلوك، بينما تطلق كلمة الشخصية على مجموع صفات الكائنات البشرية وحدها.

وللمزيد فى معنى التفرد والفردية انظر:

- أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢١٢، ص ٢١٣.
- عبد المنعم الحفنى، مرجع سابق، ص ٣٤٩.

١- كولن ولسون، **اللا منتمى، دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية فى القرن العشرين**؛ تعريب أنيس زكى حسين، بيروت، دار الأدب العربى، ١٩٨١، ص ٧، ص ٢١٨.

٢- كالفن هول، جاردنر ليندزى، مرجع سابق، ص ص ١٦١-١٦٧.

الفردى وقيمه، لأن النمط الشخصى المنعزل، هو مظهر من مظاهر الانسلاخ عن العالم الخارجى، فيعود إلى المركز، ما دامت الطبيعة الإنسانية تقوم على التباعد عن المركز، وخروجا على الذات بالاندماج فى العالم الخارجى"[1].

ويعتبر الاندماج مع الجماعة، والعمل معها من أهم دعامات الانتماء، وعليه فإن للتنشئه الاجتماعية دورها الهام حيث التدريب والممارسة منذ الصغر، وهذا ما أثبتته إحدى الدراسات من "وجود علاقة ارتباطية بين الاتجاه الإيجابى نحو العمل لمصلحة الجماعة، وبين مستوى التكيف الاجتماعى، وأنه لكل من التدريب والممارسة الفعلية أثر بالغ فى نمو الصغار خاصة نحو العمل لمصلحة الجماعة"[2].

وهكذا يتأكد ارتباط الانتماء بالروح الجماعية، لاالفردية، وإن كان يسمح بالتفرد وتحقيق الذاتية، كما يؤكد على الهوية التى تنشأ من خلاله، وتقوى به فخرا واعتزازا، فإذا ماعرف المواطن هويته، وإلى أى وطن ينتمى، ويتوحد مع أفراده، اعتبر مصلحة هذا الوطن هى مصلحته الذاتية بعيدا عن الأنانية والفردية، وإن كان يسعى دائما إلى ترك بصمته، وذاتيته على كل عمل خير ناجح محققا ذاته، فإذا ضعف الانتماء، ضعفت الهوية، وتفشت الفردية، وسعى الفرد لمصلحته أولا، ولو على حساب الآخرين فيسود التنافس السلبي وتحدث الصراعات والتفكك، مما قد يؤدى فى نهاية الأمر إلى تفكك بنية المجتمع وتخلفه.

(٤) الحب Love:

إن الانتماء المجرد يكشف عن وجود صفات تجعل الشئ المنتمى والمنتسب إليه، جديرو بذلك النسب، لاعتبارات جليلة وخطيرة، وتقوم فى نفس المنتمى، ومن شأن وجودها، أنها تجعل الإنسان فخورا به، سعيدا بالانتساب إليه، لما يولد ذلك الانتساب فى قلبه من معانى العزة والشرف، وفى وجدانه من مشاعر الفخر والاعتزاز، وإن شئت تلخيصا لتلك المعانى فقل الحب Love، فالحب هو أقوى مظاهر الانتماء، وأهم عوامله أيضا، لأنه هو الذى يكشف عن مدى وجود الانتماء، وهذا الحب لايتولد من فراغ، ولكنه يجئ وليد

١- مجدة أحمد محمود، مرجع سابق، ص ٢١.

٢- عفاف أحمد عويس، تنمية اتجاهات الأطفال نحو العمل لمصلحة الجماعة، مرجع سابق، ص ٢٩٥.

مجموعة من الاعتبارات التى يحياها الإنسان، ويعيش بها، ويتشكل كيانه فى الحياة من خلالها، فهى تمثل بالنسبة له النعمة والخير فى أحلى ألوانه وأجمل معانيه، وعلى هذا النحو فالانتماء حقيقة لايخرج عن كونه إحساس تجاه أمر معين، أو جهة محددة يبعث على الولاء لها، والفخر بالانتساب إليها، فالحب والانتماء وجهان لعملة واحدة، ولذا قرنهما "ماسلو" معا فى هرمه الخاص بالحاجات، فلا يمكن أن يوجد انتماء فى ظل كراهية، ونفور، والأشياء التى تستأهل حب الإنسان، هى ذات الخطر بالنسبة له، ومبعث الخير فى حياته، وأنها هى التى تغمره فضلا، وتغرقه نعمة، ومع ذلك فإن مشاعر الناس تجاه الأمور متباينة، وولاءهم مختلف، ويرجع ذلك إلى اختلاف معايير الفكر عند بعض الناس، وتفاوت الرؤية عند بعضهم الآخر فى النظر للأمور[١].

والحب كشعور "يختلف فى مظاهره السلوكية، ومحتواه العقلى، ولكنه يعتقد أنه يتضمن نوعية محددة وفريدة من التأثير والشعور بالارتباط والمودة لشخص ما، وأحيانا لشئ ما، وميل وولع قوى، وإن كانت بعض النظريات تشير إلى أن مشاعر الحب شهوانية فى جوهرها"[٢].

والحب بمثابة قيمة جوهرية، ويمثل **القاسم المشترك بين الانتماء وجميع القيم المرتبطة به**، حيث يشير الحب إلى البعد الوجدانى للقيمة، ولقد أجمع كل من قاموس علم الاجتماع[٣]، وقاموس ويبستر[٤] على أن الحب توحد عاطفى قوى، يؤكد المودة والتفانى لطرف آخر (فرد أو جماعة أو وطن)، ويشير إلى ميل وولع وشدة اهتمام، وهو عملية سيكولوجية اجتماعية، ديناميه، متعددة الأبعاد. واتفق معهما فى نفس المعنى موسوعة إكسفورد[٥]، وقاموس اللغة[٦]بأنه شعور قوى فى عاطفته تجاه شخص ما، أو شئ ما، تشعر معه بضرورة حمايته ومساعدته، والتضحية من أجله.

١- عبد الله مبروك النجار، مرجع سابق، ص ٢٢ - ٢٣.

2- English, H. B. & English, A. C., Op. Cit., P.299.

٣- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

4- Webester, S., Op. Cit., P. 868.

5- Toyce and M. Hawkins and Robert, Op. Cit., P. 854.

6- Cobuild, Collins, Op. Cit., P. 885.

ويرى "إريك فروم" "أن الحب ليس قوى تهبط على الإنسان، كما أنه ليس واجبا مفروضا عليه، إنه قوته التى تربطه بالعالم، وتجعله عالمه حقا، ان الحب حاله إيجابية ونشاط، وهو العطاء وليس التلقى، وهو الوقوف وليس الوقوع، وهو موقف، ومن أهم دلالاته (العناية، المسئولية، الاحترام، المعرفة) وفى هذا الحب المنتج والمثمر، قهر للانفصال، وهو مصدر الحرية الحقيقية، وإبقاء على الذات فى الوقت نفسه، وأنه يفضى إلى الوحدة، والاتحاد، ومع هذا لا يستأصل الفردانية"[١].

واتفق "إريكسون" مع "إريك فروم" على اعتبار الحب مفهوما واسعا يتجاوز الحدود الضيقة التى قال بها "فرويد" وأنصاره من أنه مجرد لذة شهوانية، حيث اتفقا على أن الحب فضيلة تتضمن معانى الاهتمام، والرعاية، والاحترام، والمسئولية، ومن خلال تلك المعانى يحقق الحب أعظم إنجازاته، ولكى يؤتى الحب ثماره، لابد أن يكون المرء مدركا لهويته، لأن تشوه الهوية وتمزقها لا ينتج إلا الخوف، والانسحاب بعيدا عن العلاقات الودية الحميمة، مما يعوق دائرة الحياة، ويحول دون النضج الكافى[٢].

ويرى "هيجل" أننا "منفصلون فى الحياة المباشرة ومغتربون، والحب هو الوسيلة لعبور هذا الانفصال وذاك الاغتراب، فالحب يقهر الانفصال، والحاجة إلى الوحدة شئ أصيل فى الإنسان، وأن الحب ليس مجرد شعور داخلى، بل هو تجاوز للإنسان فى الواقع، ونماذج فى العالم الواقعى، وتجسيد موضوعى له[٣]، فالحب يعمل دائما على إعادة وحدة المغترب، لأن الغربة تفرض الواحدية. والحب تتجلى أعظم قواه فى تغلبه على أعظم انفصال، ألا وهو انفصال النفس عن ذاتها[٤].

١- إريك فروم، فن الحب؛ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ص ١٤.

2- Wright, Eugene J. R., **Erikson, Identity and Religion;** New Yourk, The Sea Bury Press, 1982, PP. 93-94.

٣- سها عبد المنعم منصور شبايك، **مفهوم الحب عند اليونان والمسلمون**؛ ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٣، ص ١٩٣.

٤- بول تيليتش، "الحب يقهر الاغتراب" فى مجاهد عبد المنعم مجاهد، **الإنسان والاغتراب**؛ القاهرة، مكتبة سعدالدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥ ص ص ١٣٩ - ١٥٦.

وكل نظام طبيعى كان أو اجتماعى، هو قوة، لأنه يقوم على شكل مـــا للحـــب القـــائم بالتوحد، وهو كنظام يزيل الانفصال، ولذا فإن التأكيد على التآلف والتوحد على المســـتوى الإنسانى، يطلق عليه روح الجماعة، التى بالتالى تجد التعبير عنها فى كافة ما تقوم عليـــه فى قوانينها، ومؤسساتها ورموزها، وأساطيرها، وفى أشكالها الثقافية، والأخلاقيـــة، وكـــل عضو فى الجماعة يجد فى أعضاء المجموعة الحاكمة للجماعة تجسيدا لتلك المثـــل التـــى تؤكد، حينما تؤكدها الجماعة التى ينتمى إليها[1].

والحب – كما يراه "فروم" – هو اتحاد مع شخص آخر، أو شئ آخر خارج المرء، مـع احتفاظه بذاتيته، وهو الشعور بالقاسمة والاشتراك، ويسمح بإفساح المجال الواسع لما يحبـذ الإنسان من نشاط داخلى، لأن المشاركة الإيجابية والمحبة تسمح لـــك بتجـــاوز وجـــودك الفردى، وفى الوقت نفسه، تمتلك القوى الإيجابية التى تمكنك من المحبة، ولايهم فى الحـــب أن يكون فى قلبك إحساس بالحب، فقد يكون الإحساس شعور بالتماسك الإنسانى مع أبنـــاء الجنس البشرى كله، ففى الحب يصبح الفرد واحدا من الكل، وهو برغم ذلـــك – مســـتقل بذاته – ففى الإحساس بالحب نجد الحل الوحيد لمشكلة الإنسانية[2].

وتوجد علاقة بين حب الذات والآخرين، فالذاتية تجعل المرء دائما يحافظ على وجـوده، وهناك فرق بين التفرد والفردية، أي بين الذاتية والأنانية (بمعنى حـــب الـــذات)، ويـــرى "شوبنهور" Showpenhoor، أنه مع الفردية والأنانية يلاحظ أن كل فرد يريد كـــل شـــئ لنفسه، ويريد أن يجعلها مركز العالم، وينظر إلى كل مايجرى فى العالم على أنه أحـــداث ووقائع من زاويته الخاصة، ويواجه المسألة الذاتية باهتمام بالغ، ويلقـــى شـــتى مصـــالح الآخرين بشئ من عـــدم الاكـــتراث، كذلـــك يؤكـــد الفليســـوف الأخلاقـــى "جـــانكفتش" Gankifitish، أن حب الذات، بدايته هى نهايته، ومستقبله هو ماضيه، ولاينطوى علـــى أى وجهة نظر، لا اتجاه له ولا أفق، وأما الحب الحقيقى، فإنه ينحو نحـــو الآخريـــن، وكـــل

١- بول تيلتش، **الحب والقوة والعدالة**؛ ترجمة كامل يوسف حسين، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشـر، ١٩٨١، ص ص ١١٦-١١٧.

٢- إريك فروم، المجتمع السليم، مرجع سابق، ص ص ٣١-٣٢.

الآمال ميسرة له، وسماء العالم الخارجي مفتوحة له[1]. في حين يشير التفرد إلى التمـــيز، وما تتميز به كل شخصية إنسانية من قدرات ومهارات تنفرد بها عن غيرها من الأفراد.

وهكذا فالحب هو دلالة التماسك، والتوحد وأهم مظاهر الانتماء، وعوامل قوته، وهـو القاسم المشترك فى كل الحاجات الإنسانية، وخاصة الحاجة للانتماء، فهو جوهر الانتمـــاء ومعناه، ويفضى إلى الوحدة، والعلاقات الودية الحميمة، ويقهر الانفصاليةَ، وينحـــو نحـــو الآخرين، متوحدا معهم، منتميا إليهم، ويشعر بالولاء نحوهم، عاملا على وحدتـــهم وقـــوة تماسكهم وتقدمهم.

(٥) الوطنيـــة Patriotism، والمواطنـــــة Citizenship، والجنســـــية Nationality:

ورد معنى **الوطنية** فى معجم العلوم الاجتماعية بمعنى حـــب الوطـــن* Patriotism، وأنها فى كافة مظاهرها عبارة عن الدافع الذى يؤدى إلـــى تماســك الأفـــراد وتوحدهـــم، وولائهم للوطن، وتقاليده والدفاع عنه، ويتكون الشعور بالوطنيـــة منـــذ ســـنوات التنشـــئة الأولى، ومن ارتباط الفرد فى أول عهده بالبيئة المباشرة، والمشـــاعر التـــى تتولـــد لـــدى المواطن، وقد لاتستند على التفكير بقدر ما تستند على الاستجابات العاطفية.

وتختلف الوطنية عن المواطنة الصالحة، ويقصد بها اهتمام المواطن بالصـــالح العـــام، وكان يقصد بها فى الأصل، إخلاص المواطن لمبادئ الثورة الفرنسية فى فرنســـا[2]. أمـــا معنى المواطنة Citizenship: فهى "صفة المواطن والتى تحدد حقوقه وواجباته الوطنيـــة، ويعرف الفرد حقوقه، ويؤدى واجباته عن طريق التربية الوطنية وتتميز المواطنـــه بنـــوع

١- زكريا إبراهيم، مشكلة الحب؛ ط٢، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٥، ص ص ٣٩-٤٣.

* ورد تعريف للوطن لغويا بأنه (هو محل الإنسان، أوطان الغنم ومرابطها، أرض الوطن، وطنها واستوطنها، وأقطنها أى اتخذها وطنا، وتوطين النفس على الشئ كالتمهيد، والوطن قد تعنى مشهد من مشاهد الحرب، قال تعالى: قد نصركم الله فى مواطن كثيرة (سورة التوبة ٢٥). انظر:

- محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص ٧٢٨ .

٢- أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

خاص بولاء المواطن لوطنه وخدمته فى أوقات السلم، والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين فى تحقيق الأهداف القومية"[١].

ولقد اتفق قاموس اللغة الإنجليزية[٢] مع الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية[٣] فى تعريف **الوطنية Patriotism** بانها حب الوطن والولاء له، وأنها تشبه القومية من حيث كونها عاطفة إنسانية تربط الفرد بوطنه، وأن الوطن ذو مدلول واسع. فقد يراد به الوطن الصغير مثل القرية التى يقيم بها الفلاح، أو القبيلة التى ينتمى إليها البدوى، أو يراد به الوطن الدولة بمعناها الحديث، والوطنية كالقومية، ترتبط بالدولة ارتباطا قويا وقوميا، وهى كفيلة بإثارة المشاعر الإنسانية، ومعايير قياس المشاعر الوطنية، قد تكون غير دقيقة فعلى سبيل المثال، قد يعتبر إهمال تحية العلم الوطنى من الأعمال غير الوطنية، ولكن لا يمكن اعتبار نفس الفعل غير قومى، والوطنية نزعة من الشعب تجاه الوطن، وأكثر ما تبدو الوطنية فى الأزمات والحروب.

فالوطنية تدل على معانى ضرورية فى حياة الإنسان، وتشمل فضل الوطن على الإنسان، وواجب الإنسان نحو وطنه، فى آن واحد بما يستتبع الدفاع عنه، وبذل المال والنفس من أجله، والعمل الدائب فىسبيل نهضته ورفعته وتقدمه، والقاسم المشترك فى تلك المعانى موجود فى دخيلة غالبية الناس، فى كل زمان ومكان، بما يجعل قيامها فى مرتبة الأمور المسلم بها[٤].

ولذلك **فالوطنية** هى "عاطفة ووجدان تجاه الوطن، يكون فيها الحب هو الإحساس الأساس لهذا الوطن"[٥].

ويرى "إريك فروم" أن **الوطنية** هى: "اتجاه عقلى يضع الأمة فوق الإنسانية، وفوق مبادئ الحق والعدل، ولا يقتصر على الاهتمام بالتقدم المادى والأدبى فى الوطن الذى

١- المرجع السابق، ص ٦٠، ص ٦٢.

2- Cobuild. Collins, Op. Cit., P. 1053.

3- Robert. Buch. "Patriotism" In David L. Sills (ed.), **International Encycolopedia of Social Science;** Macmillan Company. Free Press. 1963. P. 309.

٤- عبد الله مبروك النجار، مرجع سابق، ص ص ٢٥- ٢٩.

5- English. H. B, & English, A.C., Op. Cit., P. 375.

ينتمى إليه المواطن، دون تسلطه على غيره من الأوطان، وكما أن حب فرد واحد دون الأفراد الآخرين ليس حبا بمعناه الحق، كذلك حب الوطن الذى لايمتد إلى الإنسانية جمعاء، ليس حبا بمعناه الصحيح. ويؤكد "فروم" أن عدم الاهتمام بالوطن دليل على انعدام المسئولية الاجتماعية، والتماسك البشرى. بيد أن الاعتداء على غير المواطنين هو كذلك دليل على انعدام المسئولية الاجتماعية والتماسك البشرى، ولابد للإنسان أن يحرر عقله وحبه وان ينشئ عالما يقوم على التماسك البشرى الشامل، وعلى العدالة المطلقة، وأن يحس برباط الأخوة العالمية، وأن يخلق لنفسه صورة من صور الارتباط البشرى، كى يحول دنياه إلى وطن إنسانى حقا"[1].

وهكذا تجاوز "فروم" الحدود الجغرافية للوطن، إلى الحدود الإنسانية بمعناها وجوهرها من حب والتزام ومسئولية وعدالة، هدفها جميعا التماسك البشرى، وإن كانت الباحثة ترى أن حب الفرد لوطنه يجعله يحترم معنى الوطن، وكيان الأوطان الأخرى، ويجب ألا يتجاوز حبه لوطنه الإنسانية، ومبادئ الحق، والعدل، لأن هذا التجاوز يحول دون الأمن والاستقرار والسلام، بل يشجع على العدوان والحروب، خاصة إذا كان هذا التجاوز تدعمه الأطماع والقوة، فتدفعه إلى الجورعلى أوطان آمنة، وهذا ينتفي مع معنى الوطنية.

ولقد استخلصت إحدى الدراسات تصنيفات للوطنية مشيرة إلى فئاتها المختلفة وجاءت على النحو التالى:

- الوطنية الفطرية: تشير إلى الحب المؤثر بصدق لكل من الوطن، الأمة أو البيئة المحلية، واعتبار كل من يسلب خيره فهو خائن.
- الوطنية البيئية: وتشير إلى مدى التعهد والولاء للأرض، والمحافظة عليها من أجل الأجيال المقبلة.
- الوطنية المؤسساتية: وتشير إلى الولاء للنظام الحكومى ولأجهزة الدولة.
- الوطنية الديمقراطية: وهى بمثابة التزام بالميثاق والمبادئ مثل المشاركة، المواطنة، والثقة في قوى الدولة.

١- إريك فروم، المجتمع السليم، مرجع سابق، ص ص ٤١-٤٢.

- الوطنية القومية: وفيها تسمو المشاعر وتتجاوز الأمة إلى التعهدات لكل الجنس البشرى، والولاء للعالم والسلام، ويقترن ذلك بالتوقع بأن المواطن الجيد هو ذاك الذى يدفع حكومته فى هذا الاتجاه.

- الاستثنائية Exceptionalism: وتشير إلى التميز Distinguishion حيث الاعتقاد بأن لكل بلد تميزها الخاص ببعض الخصائص الاجتماعية تتضح فى نوعيات المؤسسين، أو فى القوى الاجتماعية للمواطنين، أو قوتها الحربية أو نظامها الاقتصادى"[1].

كما أسفر تطبيق أداة بحث "إزابيل ويلكرسون" Isabel Wilkerson التى وردت فى دراسة لها فى نيويورك عام ١٩٩١، عن "مدى وضوح معنى الوطنية فى أذهان المواطنين، وأشارت الدراسة للفرق بين المفاهيم المختلفة مثل (الحكومة)، (الوطن) فى معنى الوطنية كما جاء فى تفسيرات المبحوثين، وذكرت على سبيل المثال قول أحدهم، "استطيع تماما أن أكره الحكومة، ولكن أحب وطنى، وأيدت أن الوطنية تعنى حب الأرض، وحب البلد، وحب الشعب، وأنها بمثابة رباط يربط المواطن بالحاضر، ويجعله يقدربفخر وإعجاب طرق الحياة ووسائلها فى وطنه، وأن الوطنية تجعل الوطن عظيما من الداخل، والخارج كذلك أيدت الدراسة أن الأعمال التى تسئ للرموز الوطنية، هى دلالة على الخيانة وضعف الوطنية، ومثال ذلك الإساءة إلى العلم الوطنى، أو حرقه، واعتبرت أن الولاء الحقيقى،إنما هو بحب الوطن، والإتيان بالأفعال التى تؤكد هذا الحب للوطن"[2].

وهكذا تشير الوطنية إلى مشاعر الحب والولاء التى تكمن فى الانتماء للوطن، حب للبلد، وللأرض، وللشعب، وفخر بالتراث والحضارة، وتتجلى مظاهرها فى الالتزام بالحقوق والواجبات، واحترام القوانين والمعايير السائدة فى الوطن، والتوحد معه، والعمل على حمايته والدفاع عنه وقت الأزمات بكل غالى ونفيس، حرصا على تماسكه ووحدته، واستمرارية بقائه وسلامته، وعملا على نمائه وتقدمه، هذا مع ضرورة الوضع فى الاعتبار أن ثمة تباينا جوهريا بين مفهومى الوطن، والسلطة.

1- Sullivan, John L., (eds.) "Patriotism, Politics, and the Presidential Election of 1988", **American Journal of Political Science;** Vol. 36, No. 1. Feb., 1992, PP. 200-234.

2- Ibid, P. 208.

ارتباط مفهوم المواطنة بالجنسية Nationality:

يستخدم مصطلح الجنسية فى العلوم الثقافية والقانونية، وكمصطلح ثقافى يشير إلى الحالات التى تتعلق بالعرقية، واللغوية، والأيديولوجية للأفراد، والجماعات، لذا فإننا نقول أن هذا ألمانى، وذاك إيطالى، وثالث مصرى ... إلخ دون أن ينظر إلى وطنه كمكان لإقامته أو جنسيته القانونية، أما فى العلوم ذات الاهتمام بالأمور الثقافية حيث المعنى الثقافى لمصطلح (الجنسية) خاصة إذا كان المعيار اللغوى للجنسية يمكن تطبيقه، فهناك حالات تعدد الجنسيات، فمثلا الجنسية الألمانية لا تشير فقط إلى هؤلاء الذين يقيمون فى ألمانيا الشرقية أو الغربية، فيمكن أن يوجد غيرهم كثيرون يحملون الجنسية الألمانية ويعيشون فى سويسرا، وفى أستراليا، وغيرها من البلاد، ومثل هذه المواقف المتعددة، يتطلب الأمر التعامل مع العديد من المعاهدات من أجل حماية العنصرية، والعرقية، واللغوية، بالإضافة إلى المطالب السياسية الخاصة بوجود الأفراد[1].

وجاء فى تحليل "برنارد" و"هيلين بوزنكيه" Bernard and Helen Bosanteuq لمفهوم المواطنة، بأنه مفهوم شديد الارتباط بالسلطة، أن هناك اختلاف بين أن يكون الفرد مواطنا فى الدولة، وبين أن يكون فيها مجرد إنسان، ولكى يكون مواطنا فى الدولة، فالأمر يستلزم ضرورة أن يكون على درجة من الوعى بأنه يعيش وسط جماعة، يحكمها العديد من المعايير والقوانين، وهذه القوانين بمثابة القوة إلى جانب السلطة، وعلى الفرد المواطن أن يلتزم بها، كما أشاروا إلى وجود علاقة بين كل من المواطنة والفقر، والطبقة، والسوق.

ويرى "بوزانكيه" أنه طالما أعضاء المجتمع مواطنين متساوين فيه، فلابد وأن يكون الولاء الأول والأعظم للمواطنة وليس للطبقة، إلا أن "هيلين" أضافت معترضة على آراء كل من "ماركس" و "انجلز" فى الصراع الطبقى قائلة بوجود كثير من المحنكين المراوغين الذين يحاولون إعلان مبدأ "ماركس" و "انجلز" فى النضال الطبقى، إلا أن هذه الصيحة وجدت صدى ضعيفا، لأن سياسة صراع الطبقات تم التخلى عنها، في محاولة الوصول

1- Wright. Quincy, "Nationality" In **Encycolopedia American;** Nauvoo, Deluxe Library, Edition Meyer, Vol. 19, 1990, P.787.

إلى حل – وهى فى ذلك مؤيدة الاتجاه النقدى وما قال به "هربرت ماركيوز" – ويشير "بوازنكيه" إلى دور التبادل الاقتصادى وأثره على المواطنة، والرفاهية الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فيرى فى الأخيرة إشارة إلى البعد الأخلاقى فى تعامل الأفراد، وإنه إذا اقتصر التعامل على الأسلوب التجارى فقط، فقد يؤدى إلى هدم كل من الحياة الاجتماعية، والقوة الإنسانية، ويشير "ماريشال" T. M. Marshall لقضية الفقر ويعتبرها من أهم مشكلات معظم الدول فى القرن العشرين، واعتبر الفقراء هم المحرومون من المشاركة والاستمتاع بمظاهر الحضارة والمدنية، ولابد من اتساع حقوق المواطنة الاجتماعية لهؤلاء الفقراء، من أجل الوصول إلى الاستقرار والتماسك[1] الذى فى النهاية يقوى الانتماء ويدعم الهوية.

وهكذا ارتبطت الجنسية بالمواطنة، والوطنية، والفقر، وتجاوزت حدود مكان الإقامة الضيق، معلنة عن هوية الفرد، ومشيرة إلى ولائه وانتمائه لوطنه.

(٦) الاغتراب Alienation:

حينما يضعف الانتماء ويشوبه الخلل، فإن ذلك يشير إلى وجود الاغتراب، باعتباره المقابل السلبى للانتماء، و"دلالة على تزييف الوعى، وأزمة الهوية، حيث يشير الاغتراب إلى افتقار العلاقات، وخاصة عندما تكون هذه العلاقات متوقعة، ومعه تبدو الأشخاص، والمواقف الشائعة غريبة"[2].

فالاغتراب يشير إلى الدرجة التى يشعر فيها المرء أنه يفتقد القوى التى تمكنه من إنجاز دوره المطلوب منه فى الحياة في مواقف بعينها. ويستطيع المرء أن يجعل أفعاله ذات معنى، ويؤكد انتماءه لجماعته، ويتجنب العزلة الاجتماعية، إذا تمكن من تغيير ظروفه، واستطاع أن يؤدى دوره المطلوب منه.

ويرى البعض أن الاغتراب "هو حالة الفرد السيكولوجية، ووصف الشخص المغترب بأنه هو ذلك الشخص الذى يشعر بأنه غريب عن مجتمعه، وعن الثقافة التى يتمثلها

1- Vincent, Andrew, "Citizenship, Poverty and Real Will" **The Sociological Review**, Vol. 40, No. 4, Nov. 1992, P. 711, PP. 715 - 716, P. 766.

2- English, H. B. & English, A.C., Op. Cit., P. 22.

المجتمع، وأن الفرد المغترب الآن ليس بالضرورة أن يكون مغتربا من قبل، أو على الأقل لم يدرك أنه مغترب الآن، وقد قام "دين" Dean بتصميم مقياس للاغتراب تضمنت عناصره (قياس العجز Powerless، اللامعيارية Normalessness، العزلة الاجتماعية Social Isolation) لقياس مدى التفاعل الاجتماعي"[1].

كذلك حاولت إحدى الدراسات قياس الاغتراب من خلال النظام الاجتماعي، وإعداد مقياس لقياس الاغتراب من خلال ثلاثة أبعاد (مدى الإشباع، المشاركة، المعرفة) وتطبيقه على أحد التنظيمات الزراعية التعاونية، كتنظيم اجتماعي يضم بداخله جملة أعضاء ومنتجين ويعملون معا لإنجاز عمل محدد وهو هدف التنظيم. واستطاعت الدراسة قياس درجة الاغتراب لدى الأفراد داخل هذا التنظيم التعاونى عن طريق تحليل الفقرات التالية:

- من يمتلك التنظيم، شعور الفرد إزاء التنظيم، حرية الفرد فى تعبيره عن رأيه فى إدارة التنظيم، الفرد كعضو مشارك فى التنظيم، وذلك على مدرج من صفر إلى ٢٠، وتشير الدرجة الأعلى إلى درجة اغتراب أعلى، وجاءت الفقرات كلها تشير إلى ضرورة معرفة الفرد كعضو منتسب إلى هذا التنظيم بكل أمور التنظيم، وضرورة مشاركته كعضو فعال فيه، وسعيه الدائم لتدعيم مكانته لتحقيق الإشباع الذاتى له، الذى بالتالى يدعم انتسابه وولاءه له، وهويته به. وتوصلت الدراسة إلى "وجود درجة عالية من الاغتراب ترتبط بدرجة عالية بعدم إشباع التنظيم لحاجات أعضائه، بلغت نسبتها ٦٢%، وكذلك وجود ارتباط منخفض بين كل من الاغتراب والمشاركة بلغ ٣٧%، وبين الاغتراب والمعرفة بلغت ٣٠%، وإن كان لا يوجد ارتباط بين درجات الاغتراب وعمر الأعضاء أو سنوات العضوية"[2].

ويشير الاغتراب كعملية معقدة إلى "تحول إنتاج النشاط الإنسانى وقدراته إلى شئ مستقل عنه، حيث ينفصل الفرد عن نفسه وعمله، ويصبح غريبا حتى يكاد يفقد إنسانيته كلها، وقد يأخذ الاغتراب صورا شتى: منها ما هو على مستوى الإنسان نفسه، ومنها ما هو على مستوى التنظيم الإنتاجى، ومنها ما هو على مستوى النسق الاجتماعى ككل،

1- Clark, John P., "Measuring Alienation within Social System" A Social American Sociological Review; Vol. 24, No. 4, Dec. 1959, P. 849.

2- Ibid., PP. 849 - 852.

ويشير ماركس إلى وجود علاقة ارتباطية جوهرية بين الاغتراب والملكية الخاصة، لهذا فإن نظام العلاقات الرأسمالية يتميز بظاهرة اغتراب العمل، لأسباب موضوعية كافية في علاقات الإنتاج، ونسق السيادة الطبقى، مما يؤدى إلى انفصالهم عن العمل ونتاجه، كما يؤدى إلى اغترابهم عن ذواتهم، فيسبب لديهم شعورا بالبؤس وعدم الرضا، فلا يستطيع أن ينمى طاقاته الفيزيقية أو العقلية بحرية، وقد لا يجد ذاته إلا فى وقت فراغه"[١].

والمرء حين يكون مغتربا عن نفسه، وحتى عن إنتاجه وعمله، فإنه "يشعر بفقدان وجوده كإنسان، قد حرم التمتع بما لديه من صفات بشرية، كما أنه يشعر باغترابه عن إخوانه من البشر، نتيجة إحساسه بفقدان هويته الإنسانية، ومعنى أن يفقد هويته، أنه تحول إلى شئ، وبالتالى حرم أن يتمتع بحقوقه الإنسانية"[٢].

وتبحث كتابات "ماركس" فى شكل العمل فى المجتمع الحديث، "من حيث إنه يشكل الاغتراب الكلى للإنسان، ويؤدى استخدام ماركس لهذه المقولة إلى الربط بين تحليله الاقتصادى، وبين مقولة أساسية فى الفلسفة الهيجلية، حيث أعلن "ماركس" أن تقسيم العمل الاجتماعى لايتم على أساس مواهب الأفراد ومصلحة الكل، بل يحدث وفقا لقوانين الإنتاج الرأسمالى للسلع فقط، والتى بمقتضاها يصبح ناتج العمل متحكما فى طبيعة النشاط الإنسانى وغايته، وبعبارة أخرى، فإن الموارد التى ينبغى أن تخدم الحياة تصبح مسيطرة على معنى ومضمون الحياة وهدفها، ويصبح وعى الإنسان ضحية لعلاقات الإنتاج المادى"[٣].

ولايتردد "إريك فروم" فى أن يتهم المجتمع بأنه مجتمع غير سوى، وقد يكون سببا فى اغتراب أفراده عنه، وفضل أن يتهمه بالعصابية، ولايتهمه بالمعاداة لأبنائه، مناوئا لسعادتهم وتحقيق ذواتهم، وذاك المجتمع هو الذى يشعر أفراده بالشلل، ويفتقدون النمو فى شخصياتهم، واعتبر فروم الشخص الذي فى حالة تكيف مع المجتمع هو: ذاك الذى

١- أحمد زكى بدوى، معجم المصطلحات الرعاية التنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٨. راجع فى هذا الصدد:
- على ليلة، مرجع سابق، ص ٢٧٠.
- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٢٠.

٢- محمود عبد الحميد حمدى، مرجع سابق، ص ٢٤.

٣- هربرت ماركيوز، العقل والثورة، هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

يستطيع أن يؤدى دوره الاجتماعى، وبلغة مقياس القيم الإنسانية فهو شخص ذو قيمة، عكس الشخص الذى فى حالة عدم تكيف مع المجتمع، فهو يتسم بسمات تقلل من قيمته، ولذا فإنه يرى أن من على درجة عالية من التكيف مع ذاك المجتمع، هو فى حياة أقل صحية من ذاك العصابى (بلغة القيم الإنسانية) لأن تكيفه هذا على حساب نفسه، ومعه يفتقد ذاته الفردية التلقائية. فى حين أن الشخص العصابى يقدم تنازلات من أجل ذاته، وبدلا من أن يكون معبرا عن ذاته بإيجابية، ينسحب إلى حياة وهمية خيالية، وكذلك يرى فروم أن الهروب ليس حلا، وإنما على الفرد أن يربط نفسه بالعالم حوله بالحب والعمل، معبرا عن مشاعره الحقيقية، وإحساسه وقدرته العقلية، ليصبح متفاعلا مع من حوله، ومع الطبيعة، ومع نفسه، دون أن يتخلى عن استقلاليته، مؤكدا ضرورة اندماجه كفرد مع من حوله، لأن انفصاله عمن حوله، يعنى هروبه، ويجعل الحياة صعبة أمامه، ففى العزلة والهروب تنعدم السعادة الحقيقية والحرية الإيجابية، وإن كان اللجوء إليهما حلا قد يهدئ القلق ويجنب الرعب، إلا أنه لا يحل المشكلات الأساسية، وهنا تصبح الحياة مجرد أنشطة وحركة آلية بلا معنى[1].

إن الفكرة السائدة عن الاغتراب فى فكر "إريك فروم"، هى فقدان النفس لذاتها، وفى هذا الفقد، تكتسب ذاتا ليست هى الذات الحقيقية، أو ما يجب أن تكون عليه حقا، ولقد اختار المغترب أن يهرب من نفسه، ويفقد نفسه، ويؤمن بالقيم الزائفة التى ليست من صنعه، لأنه لايستطيع أن يحتمل العيش وحيدا، ومع فقدان الإنسان لذاته يصبح مثل الماكينة التى يخترعها، ويتنازل عن نفسه للفردية التى تميزه عن غيره، ويصبح إحساسه بذاته ليس وليدا لأنشطته، بل يعانى العزلة، والوحدة النفسية، لأنه انفصل عن ذاته، وعمن حوله فى مجتمعه الذى يفترض أن يكون منتميا إليه[2].

1- Fromm, Erick. **Escape From Freedom;** NewYork, Rinehart & Company Inc., 1971, PP. 138-144.

٢- إريك فروم، فن الحب، مرجع سابق، ص ص ٥-١٧. و للمزيد حول الاغتراب انظر:

- **Fromm, Erick, The Sane Socity;** Op. Cit., PP. 10-35.
- **Schaar, John H., Escape Form Authority, the Prespective of Erick Fromm;** New York, Basic Books Inc., Publishers, 1961, PP. 159-168.

- محمود رجب، الاغتراب، سيرة مصطلح ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣، ص ص ٣-٢٧.

وهكذا تتضح العلاقة بين الاغتراب والانتماء، باعتبار الاغـــتراب المقـابل السـلبى للانتماء، أيضا وجود علاقة بين التسلطية والاغتراب، تلك التى تدفع الفرد إلـــى السـعى للتوحد مع غيره، لذا نجد أن انتماءات الإنسان تختلف باختلاف أســـاليب الـهروب مـن وحدته وعزلته، فإذا كان مفهوم الانتماء يعنى العضوية فـــى جماعـة، والاندمـاج فيـها والتوحد معها سعيا لنمو الفرد، وتحقيق ذاته داخـل الجماعـة، وبالتـالى نمـو الجماعـة وتطورها، مع احتفاظ الفرد بتفرده وتميزه، فإن الاغتراب على النقيـض، حيـث يصبـح الإنسان مثل الآلة داخل مجتمعه وليس صانعا لأفعاله، وغير متحكم فيها، بل نجدها تتحكـم فيه، ويصبح خاضعا لها، وفى هذا اتفق كل من "هيجل"، "ماركس"، "مـــاركيوز"، "إريـك فروم"، على أن الإنسان لايستطيع أن يعيش وحيدا، فإنه قد يهرب من نفسه المغتربة إلـــى سلطة، قد تكون سلطة سياسية، أو سلطة العرف والقوانين والتقاليد، باحثا عـــن الانتمـاء وخوفا من الوحدة والعزلة، وقد تكون هذه السلطة أيضـــا مغتربـة، وتسـتطيع بأسـاليبها المقنعة، أن تجعل المغترب يهرب من نفسه إليها، والتى تسلبه بدورها الفكر، فيفقـد ذاتـه وفرديته، ليستطع أن يعيش فى كنف هذه السلطة، دون شعور بالوحدة والقلق، وهنا يصبـح مغتربا وربما داخل كيان هو أيضا مغترب.

كذلك يعكس الاغتراب خبرة محدودة بمشاعر الصداقـــة والمـــودة والألفـــة، حيث يكون الفرد غير قادر على مناقشة مشكلاته مع أصدقائه، وهذا مـــا أكدتـه بعـض الدراسات، حيث أشارت إلى صعوبة أن يكوّن المغترب علاقات اجتماعية، قائمـــة علـى الصداقة والمودة، وكما أن الانتماء يتوقف على الخلفية الثقافية للفرد، فإن الفـــرد يحتـاج للعيش مع الآخرين، حتى وإن اختلفوا معه فى أساليب حياتهم، كما يوجـــد ارتبـاط دال بين الانتماء وسمات شخصية الفرد والشعور بالذات، وكذلك يوجد ارتباط قـــوى بيـن المشاركة الوجدانية، ودرجة سعادة الفرد، ودافع الراحـــة والأمـــان، فـإن الاغـتراب كثيـــرا ما يتسبب فى انخفاض درجة الإنجاز لدى الفرد، وإذا تحقـــق هذا الإنجـاز،

فإنه لا يضفي بهجة على المغترب وغالبا ما يعجز المغتربون عن تحقيق ذواتهم[1].

إستخلاصا مما سبق، من خلال تناول المفاهيم المتداخلة مع الانتماء والمرتبطة به (الولاء، الانتساب، الوعى، الهوية، الفردية / التفرد، الوطنية / المواطنة، الحب، والاغتراب كمقابل سلبي للانتماء) **يتضح أنه لا يمكن فصلها عنه أو تجاهلها، إذا أريد دقة البحث فى الانتماء**، فهى بمثابة مقومات وركائز ترتبط به وتتداخل معه. فالانتماء أشد ارتباطا بالوعي، والهوية وليدة الانتماء وتنشأ عنه، ودلالة على وجوده، فلا هوية بدون جماعة الانتماء الذى بدوره يشجع التفرد والتميز ويسعى لتحقيق الذاتية، ويرفض الفردية والسلبية والأنانية، وتأتى الوطنية لتعبر عن المشاعر الإنسانية تجاه الوطن، وهى دلالة وجود الولاء، والعاطفة نحوه، مؤكدة على الحقوق والواجبات المتبادلة بينهم، ومتضمنة الحب، الذى هو القاسم المشترك بين هذه المفاهيم جميعا، والتى ترتكز عليه كقيمة جوهرية، وتنطلق منه كقاعدة راسخة، لأنه يستحيل وجود انتماء، حيث التوحد والاندماج والعضوية فى جماعة ما، والتقبل منها والتقبل لها دون حب، فهو العاطفة القوية التى يرتكز عليها هذا المفهوم، وهو وجدانه كقيمة، وتتجلى صورته فى الولاء لهذه الجماعة، كما يؤكد على العطاء لا التلقى، ويعلن عن الانتماء قاهرا الانفصالية والاغتراب، ومشيرا إلى فخر الانتساب والاعتزاز بالهوية، ومعه تتجاوز الذات المعتدلة التى تحفظ للمرء تفرده، وتدفعه إلى الجماعية، والاندماج مع الآخرين، ويرفض سعى الأنانية والفردية لمصالحها المؤكدة على السلبية واللامبالاه تجاه الآخرين، والتى دائما ما تتعارض مع مقدرات المجتمع وتعمل على تفككه وتدهوره بل وتخلفه.

1- Collins, B. M., "A Study of Relationship of Alinenation to the Constructs of Inclusions, Achivement and Affiliation in Selected Private Schools", **Diss. Abs. Inter.**, (A) Vol. (41), No. (2) June, 1981, P. 5049.

- Hill, C.A., "Affification Motivation, People Who Need People, But in Different Ways", **Journal of Personality and Psychology;** Vol. 52, No, 1, 1987, PP. 47-55.

ومن هنا كان من الضروري رصد وتحليل واقع الانتماء للوطن في إطار البناء الاجتماعي والنسق القيمي للمجتمع المصري، وخاصة عقب سياسة الانفتاح لما لها من دور فعال فيما صارت إليه الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وصولا لواقع الممارسات التربوية التي لها أثرها على واقع الانتماء للوطن ومظاهر هذا الواقع.